# ظاهرة الإرهاب

## من التشخيص إلى المعالجة

طارق بن ساسي

# ظاهرة الإرهاب

## من التشخيص إلى المعالجة

GLD
تونس 2026

# ظاهرة الإرهاب

## من التشخيص إلى المعالجة

طارق بن ساسي

ر.د.م.ك: 978-9938-60-945-5

الطبعة الأولى: تونس 2026



saadtareq@yahoo.com
002188530104

GLD

العنوان: 10 شارع فلسطين 1002 تونس

الهاتف: 00216.71.336.424

البريد الالكتروني: gld@latrach-edition.com

www.latrach-edition.com


بسم الله الرحمن الرحيم

# المحتويات



# الفصل الأول



# الفصل الثاني

## الفصل الثالث



## الفصل الرابع

# مُقَدَّمَةٌ

يتناول الكتاب ظاهرة الإرهاب تشخيصاً ومعالجة، حيث ينطلق من التأصيل النظري لظاهرة الإرهاب، فيطرح أولاً: إشكالية التعريف بالظاهرة الإرهابية، سعياً لتحديد مفهوم الإرهاب، والكشف عن جذور الظاهرة الإرهابية من خلال بيان طبيعة العلاقة بين الإرهاب والبعد الثقافي والديني خاصةً بوصفه موروثا يشكل العقلية، ويقوم عليه التقييم ويترجمه السلوك، ومن أجل تحقيق تلك الغاية، يعرض الكتاب للعلاقة بين الإرهاب والتعصب، مستعرضاً العلاقة بين الفكر الأصولي والإرهاب، ولا نعني هنا بحال التنكر للأصول على الإطلاق؛ فالرجوع للأصول يظل مطلباً أساسياً وملحّاً، ولكننا نعني بالأصولية الانغلاق على الماضي وإغفال الزمن الحاضر أو العصر، وشتان بين الأمرين، كما يربط الكتاب مفهوم الإرهاب بالتطرف الأصولي بوصفه الصورة العملية والمكشوفة لهذه الظاهرة، ويبين الكتاب أن التطرف الأصولي ليس قصرًا على دين أو معتقد ما، بل هو لصيق بكلّ الأديان والمذاهب والملل والنحل، وذلك بخلاف رسالة الحقّ رسالة الأديان السماوية، القائمة على السلام والتسامح والرحمة تجاه الغير، ولما ارتبطت - في الآونة الأخيرة- الأعمال الإرهابية بالإسلام نتيجة لما ينجم عن بعض المسلمين من أعمال عنف، تبلغ مصاف الأعمال الإجرامية الشنيعة، سطرتها وسائل الإعلام العالمية المتنوعة، لتجعل من الدين الإسلامي موضع اتهام، لذلك خصّص جزء من الكتاب من أجل بيان موقف الإسلام الرافض للجوء إلى الأعمال الإرهابية، ومتضمن لبيان مآلات التفسيرات والتأويلات التي وظفت من البعض لتبرير القيام بالأعمال الإرهابية مع

الاعتقاد والقَطَعَ بأنها أعمال تصب في خدمة الدين ونصرته، وأن تلك الأعمال الشنيعة تحظَى بمباركة الدين. ثم ينتقل الكتاب لبحث سبل علاج ظاهرة الإرهاب لدى الشباب المسلم اليوم التي ارتبطت بدعاوي دينية، وتطرح مقاربة تقوم على فرضية أن الإرهاب أصبح اليوم شاكلة في التفكير يصعب معها ردعه ومكافحته إلا بالرد الفكري المناسب وإعادة تشكيل العقل العربي والإسلامي المعاصر، بدلاً من تبني خيارات عقيمة غير مجدية، كخيار اللجوء للعنف تحت مبررات عدة، الذي شغل وسيطر على ذلك العقل، فإنّ المطلوب طرح خيار بديل، ناجم عن إعادة إمعان النظر والتفكير بتوظيف آليات سلمية ومغايرة، سعيًا للانطلاق من أرضية إيجابية، بعيداً عن الأرضية التي يقوم عليها وينطلق منها اليوم، وهى أرضية صيغت من ردود الأفعال السلبية وعززت قيم العنف والكراهية.

وتكمن أهمية هذا الكتاب في الربط بين الأسباب الحقيقية الباعثة والمولدة لانتشار ظاهرة الإرهاب، وسبل علاجها، لتكون خطوة من أجل الإسهام في إيجاد إيديولوجيا مضادة لأيديولوجيا الإرهاب والعنف التي فشت بين شباب الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، مترجمةً في شكل داء استفحلت آثاره واكتوت به جميع الأمم والشعوب على وجه البسيطة، فنحن اليوم نجد أنّه على الرغم من كل الجهود الكثيرة المبذولة لمكافحة والقضاء على ظاهرة الإرهاب إلا أنّها تبدو غير فعالة أو غير كافية، أمام اتساع وانتشار ظاهرة الإرهاب وأثارها، ذلك أنّ تلك الجهود التي بذلت سواءً عبر العمل القانوني أو أسلوب التنديد والإدانة، على أهميتها لا تكفي وحدها، والحاجة تدعونا لبناء عقيدة وأيديولوجيا جديدة قائمة على تعزيز روح السلم والسلام في مواجهة ثقافة الكراهية والعنف والإرهاب التي انتشرت بين أبناء الأمة الإسلامية، أمة النبي

الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة المبعوث للناس كافة ورحمة للعالمين.

وذلك يتطلب منا بيان طبيعة ظاهرة الإرهاب التي تركت أثارها الواضحة اليوم على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، فجَّرت على المجتمعات أصناف من المحن والويلات وأدت إلى تمزق وضياع الأوطان وخلفت آثارًا سلبية على مختلف مناحي الحياة الاقتصادي منها والاجتماعي، فكانت سبباً في تبديد الإمكانات ووأَد العقول وطمس المواهب، نتيجة ما تولد عن ظاهرة الإرهاب من عدم الاستقرار بغياب الأمن وانتشار الفوضى وظهور الفتن، ليس في عالمنا العربي والإسلامي فقط، بل العالم أجمع. مسببةً في انتهاك حقوق الإنسان الأساسية، حتى إنها طالت أخص وأولى الحقوق الإنسانية[1]. ومن الأمور الملحة العمل على الكشف عن زيف الدعوات الإرهابية ذات النزعة الدينية كالدعوة الإرهابية التكفيرية في العالم الإسلامي، التي تبرر العمل الإرهابي باسم الدين، مع أنّ الدين براء من ذلك، فالدين لا يقر الاعتداء واستهداف الأبرياء وارتكاب الأعمال الإجرامية الوحشية، وحتى في حالة الحرب حفظت الشريعة المطهرة، للآمنين أمنهم، فلا يقاتل إلا من قاتل، ولا سبيل للاعتداء على الأشخاص المدنيين (غير المقاتلين) كانوا عباداً أو أطفالا أو نساءً أو من في حكمهم، فالإسلام

(1) وهو حق الحياة التي حرمها الكثير من الأفراد حول العالم بسبب الأعمال الإرهابية التي لم ينجو منها الطفل رغم براءته ولا الشيخ على ضعفه ولا المرأة في حرمتها ولا العابد في خلوته ومكان عبادته، فانتهكت الأعمال الإرهابية أقدس المقدسات، فلا حرمة لدور العبادة من صوامع وبيع وكنائس ومساجد، أقيمت من أجل تعظيم وذكر الله، وما يدعو لبالغ الأسف أنّ تتم تلك الأعمال الإجرامية الشنيعة باسم الله، ودينه الإسلام، ويواري فيها المجرم خبثه وجرمه بلباس الدين ومسوحه.

كباقي الأديان السماوية التي أنزلها الله تعالى رحمة وهداية للناس، ولم تنزل كسوط نقمة وعذاب، من أجل الاسهام في مكافحة ظاهرة الإرهاب على المستوى الفكري والمساهمة في إعادة تشكيل العقل العربي الإسلامي لينطلق من أرضية إيجابية بناءة تقوم على السعي لإقرار السلام، بدل العقلية السلبية القائمة على العنف والعداوة والكراهية.

## الإطار المنهجيّ

قام المؤلف بتوظيف أكثر من منهج في تناول ظاهرة الإرهاب وسبل معالجتها، ففي أطار تحديد المفاهيم، استخدام المنهج المنطقي الرياضي التحليلي، عندما سعى إلى تحديد مفهوم الإرهاب، كمفهوم حديث حسب رأي الكاتب، شرحه في طيات الكتاب، أمّا فيما يتعلق بالمفاهيم ذات السبق التاريخي كمفهوم الجهاد مثلاً، استعان المؤلف بعلوم اللغة كعلم الدلالة، والمأثور من التراث ككتب التفسير ومصنفات الحديث النبوي والسيرة النبوية، والسياق القرآني العام أو السياق العام للرسالة القرآنية، كضابط هام في توضيح دلالة النصوص، كدلالة فرعية أو تابعة للسياق العام، وفي تفسير وتأويل النّصّ القرآنيّ، سعى المؤلف للتحلي بالنّظرة أو التّفسير الموضوعّي[1]، بالخروج من الرؤية أو التّفسير

(1) التّفسير الموضوعيّ مدرسة حديثة في تفسير وتأويل النّصّ القرآنيّ، وإن كانت لها تطبيقات جد محدودة قديماً، إذ الغالب على التّفاسير القديمة، هو المنحي التجزئيّ في تفسير القرآن، وفي العصر الحديث يعتبر **تفسير المنار للشّيخ محمد عبده،** الذي كتبه عنه تلميذه **الشيخ محمد رشيد رضا،** أول محاولة لطرق هذا الباب من جانب المسلمين في العصر الحديث، وبدأ ذلك في الأسلوب الذي اتبع في كتابة التّفسير، حيث يتم ذكر الآيات القرآنيّة ذات العلاقة بالموضوع الواحد، وتعقيب السور بخلاصة موضوعية، لمضامين السورة، والتأكيد لأهمّية التفريق بين المدني والمكيّ، وترجحيه للتفريق بينها على أساس الفارق الزمنيّ وليس الجغرافيّ، توافقاً مع الربط الموضوعيّ.

التّجزئيّ، الذي غلب على العديد من التّفاسير القديمة، حيث تمّ دراسة وتأويل النّصّ وتفسيره، عبر النظر إليه مجزّأً، بتفسير وتأويل الآية منفردة، أو على الأكثر بعض آيات مجتمعة، وذلك بمعزل عن السّياقات الأخرى، أو مضمون الرّسالة القرآنيّة ككلّ، ويركز ذلك النّمط من التّفسير والتّأويل على تقديم التّفسير مراعاة للتّرتيب المعروف للمصحف، فهو لا يبوبه على أساس الموضوعات، وقد يهمل أيضا التّرتيب التّاريخيّ في نزول القرآن، لينطلق من المكّيّ إلى المدنيّ، دون مراعاة للفارق الزمني. مما ينعكس سلباً على فهم مضمون الرّسالة القرآنيّة، ولا شكّ أنّ إدراك هذا الفارق يعين في بيان طبيعة التّوجّهات والأحكام القرآنيّة حال تغير الظّروف والأحوال، استناداً إلى قاعدة النّسخ المعنويّ لا الشكليّ، إذ القرآن لا نسخ فيه على وجه الإطلاق، بل هو مجرد نسخ الحكم، لعدم ملائمة الحكم للظروف والواقع، وهذا ما ذهب إليه الزركشي في علوم القرآن، في رفضه لدعوى النسخ بآية السيف، معتبرًا ذلك من المنسأ أو المؤخر، أي تأخير الحكم حتي يتحقق سببه، وليس نسخًا[1]، أو كما يقول الأصوليّون لعدم تحقيقه المناط. ولقد أجاب العديد من العلماء، كالإمام محمد عبده، والشّيخ رشيد رضا، والشّيخ محمد الخضري، والشّيخ محمد الغزالي، والشّيخ عبد المتعال الجبري عن كلّ ما ادُّعي فيه النّسخ

(1) الزركشي، بدر الدين محمد ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، 1959م، ط1، ج 2، ص:42. ونصه: (... تبين ضعف ما لهج به كثيرٌ من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخةٌ بآية السيف وليست كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمرٍ ورد يجب امتثاله في وقتٍ ما لعلةٍ توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكمٍ آخر وليس بنسخٍ إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا).

من آيات القرآن بوجه التّخصيص أو التقيد أو الجمع بالتّأويل إلى غير ذلك[1].

ويظل الغالب في أطار التناول المنهجي هو الأسلوب الوصفي التحليلي.

## الدّراسات السّابقة

يصعب في الحقيقة الحديث عن الدراسات السابقة، حول ظاهرة الإرهاب، وذلك بسبب كثرة ما كتب حول هذه الظاهرة، حتى أننا اليوم نجد مراكز بحثية كاملة خصصت لدراسات ظاهرة الإرهاب، في أنحاء كثيرة من العالم، إلي جانب التوصيات بإنشاء مراكز بحثية جديدة لنفس الغرض في أماكن أخرى، وما يظهر من عناية كبيرة أولتها الجامعات ومراكز البحوث السياسية والقانونية والإستراتيجية والأمنية، لظاهرة الإرهاب، حتى قامت بعض الكليات والجامعات، بتخصيص مقرر خاص لتدريس ظاهرة الإرهاب، مع وجود سيل من الندوات والمؤتمرات التي عقدت لدراسة وتسليط الضوء على ظاهرة الإرهاب سعياً لمنع ومكافحة انتشار ظاهرة الإرهاب، التي أخذ بعضها الطابع الديني أو السياسي أو القانوني أو الاقتصادي..الخ، ولكن ذلك كله لا يمنعنا من الإشارة إلى بعض الجهود المميزة التي تناولت بالبحث والدراسة لظاهرة الإرهاب، والتي استفاد منها المؤلف في إعداد هذا الكتاب، وفي مقدمتها، كتابات وحيد الدين خان[2]، الذي درس الظاهرة في إطارها الديني الإسلامي بأسلوب علمي

---

(1) إبراهيم، عدنان، رسالة دكتوراه بعنوان: **حرية الاعتقاد في الإسلام ومعترضاتها القتال، الذمة والجزية، وقتل المرتد**، جامعة فيينا، 2014م، ص 338.

(2) **المفكر وحيد الدين خان**: ولد في مدينة (أعظم كره بالهند) في شهر يناير، سنة 1925، وهو مفكر مسلم معاصر لهُ فكر متميز يحاول الجمع بين المنهج الإسلامي والمنهج العلمي

عقلاني شرعي، وكان من خلال دراسته يعمل على إعادة تشكيل العقلية الإسلامية العربية، ولعل أهمها كتابه الصادر مؤخراً بالإنجليزية: (عصر السلام)[1]، وكتابه: (عقيدة السلام)[2]، وكتابه: (الجهاد الحق: مفاهيم السلام والتسامح واللاعنف في الإسلام)[3]، وتعد كتابات وحيد الدين خان هامة بسبب الاهتمام الخاص الذي أولاه لمعالجة ظاهرة الإرهاب والتطرف ودعوته لإحياء ثقافة السلام. وكذلك المفكر جودت سعيد، صاحب كتاب: (مذهب ابن آدم الأول)، وهو دراسة في اللاعنف، وله عدة طبعات، ويمكننا ذكر ما قام به مركز المسبار للدراسات والبحوث بجهود مشكورة من أجل مكافحة ظاهرة الإرهاب الإسلامي الأصولي، فهو يستكتب العديد من المفكرين والأكاديميين والباحثين، ومنهم

---

والفلسفي المعاصر، وتتميز مؤلفاته أنها تجمع بين البساطة والعمق. وقد صنف الشيخ من ضمن قائمة تضم أكثر 500 شخصية مسلمة مؤثرة في العالم الإسلامي، وقد نال الشيخ العديد من الجوائز والأوسمة المحلية والدولية، خلال مؤتمر سلام عالمي حضرته العديد من الدول ومنها الولايات المتحدة وروسيا، وأكثرها جدة جائزة: «الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه للسلم الدولية»، وهي جائزة سنوية مخصصة لتكريم أصحاب الأعمال العلمية والمبادرات العلمية في صناعة ثقافة السلم وتأصيل قيمتها في المجتمعات المسلمة من العلماء والمفكرين. تُوفي وحيد الدين خان في اليوم التاسع من شهر رمضان سنة 1442 هـ الموافق لـ21 أبريل 2021 م، عن عمر ناهز 96 عامًا، وترك أكثر من 200 مؤلف بالاردية والانجليزية وتراجم للكثير من مؤلفاته إلى العربية وغيرها من اللغات العالمية.

(1) KHAN, Wahiduddin, **The age of Peace: Peace is the only culture for both man and uni**verse, India, Goodword, first Edition, 2015.

(2) عنوان الكتاب بالانجليزية: (The Ideology of Peace)، والذي ترجم ونشر بالعربية عن مؤسسة العبيكان بالسعودية، بعنوان: (عقيدة السلام) ترجمة: بسام عثمان أبو زيد، 1434هـ- 2016م.

(3) خان، وحيد الدين، **الجهاد الحق: مفاهيم السلام والتسامح واللاعنف في الإسلام**، ترجمة: بسام أبو زيد،السعودية، العبيكان، الطبعة الأولي، 2013. واصل الكتاب بالانجليزية:

(KHAN, Wahiduddin, The **True Jihad: The Concepts of Peace, Tolerance and Non-Violence in Islam**, India, Goodword, Second published, 2012).

خالص جلبي[1] فكتب مع مجموعة باحثين برعاية المؤسسة: (إسلام بلا دماء: تيار اللاعنف الإسلامي)[2]، وكذلك مؤخراً قامت مؤسسة مؤمنون بلا حدود بالعديد من الأنشطة الفكرية، توجتها بسيل من البحوث والدراسات الهامة في قضايا الدين والتطرف والأصولية.

## أهداف الكتاب

يسعى الكتاب لتحقيق جملة من الأهداف، ومن أهمها:

- تحديد مفهوم الإرهاب بطريقة منطقية علمية، وتوظيف ذلك في الإسهام في حسن التعامل ومعالجة ظاهرة الإرهاب.
- ربط ظاهرة الإرهاب بالأسباب الحقيقية الكامنة وراء شيوع ظاهرة الإرهاب، حتى صارت تمثل عقيدة ومذهبًا للكثير من الشباب.
- بيان موقف الدين الإسلامي الرافض للعمل الإرهابي، بوصفه عملاً إجرامياً لا يقره دين ولا يرضاه العقل.
- التأكيد على أن الإرهاب يملك أيديولوجيا متكاملة يهتدي بها ويعمل على ضوئها.
- الإسهام في تجريد مرتكبي الفعل الإرهابي من المبررات الفكرية التي تأسست وقامت عليها الأيديولوجيا الإرهابية.

(1) **خالص جلبي**: كاتب ومفكر من مواليد سوريا 1945م، يحمل إجازة دكتور في الطب البشري والدراسات العليا (جراحة عامة) جامعة دمشق. كما نال إجازة بكالوريوس في الشريعة الإسلامية- جامعة دمشق. يؤلف ويكتب في مجال تنوير وتحرير العقل الإسلامي ونبذ العنف. صدر له العديد من الكتب منها: (النقد الذاتي)، و(بناء ثقافة السلم).

(2) مجموعة باحثين، **إسلام بلا دماء: تيار اللاعنف الإسلامي**، الأمارات العربية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية، 2011م.

- طرح منطلقات وقيم فكرية بديلة عن القيم والمنطلقات الحاكمة في العقل الإسلامي المعاصر والتي أدت لذيوع فكر الإرهاب وثقافة العنف.

**يسعى الكتاب للإجابة عن السؤال الإشكالي التالي:**

إذا كانت الظاهرة الإرهابية ما هي إلا نتاج منظومة أو بنية فكرية خطأ، أسبغت الشرعية على الأفعال الإرهابية، فما هي المعالجة الفكرية الناجعة للحد من ظاهرة الإرهاب والقادرة على تفكيك البنية الفكرية القائم عليها، من خلال الكشف عن منطلقاتها وبيان افتقارها للمشروعية العقلية والشرعية والعملية؛ بطرح منظور فكري بديل يُعلي من قيمة السلام والتسامح، عوضًا عن قيم العنف والعداء ورفض الآخر، كقيم تشبعت بها العقلية الإرهابية؟

ويفترض المؤلف أنّ ظاهرة الإرهاب وليدة لجملة من الأفكار والمفاهيم المغلوطة التي شكلت إطارا فكرياً، وإيديولوجيا (عقيدة)، تسلح بها مُمارسو الأعمال الإرهابية، وأن السبيل لمعالجة تلك الظاهرة يتطلب معالجة فكرية بالأساس تبدأ من الكشف عن منطلقات وأسس تلك العقيدة، ونزع مصداقيتها العقلية والشرعية، وتقديم أيديولوجيا بديلة قائمة على النقيض، فبدل تمجيد قيمة العنف نحتاج لإعلاء قيمة السلام، وبدل العداء والإكراه وإصدار الأحكام على الغير، تدعو إلى عقيدة البديلة تقوم على نشر روح التسامح والتفاهم والتناصح ورفض مبدأ الوصاية على الغير.

## التعريفات الإجرائية

هناك بعض من المصطلحات الإجرائية التي يتوجب الإشارة إليها في هذه المقدمة، ولعل منها المصطلحات التالية:

**الأيديولوجيا**: ونعني بها الإطار الفكري أو القالب الفكري والشاكلة التي تغلب على تفكير شخص ما، فتصبح عقيدة يفكر ويقيم الأمور من خلالها، ويؤسس عليها مثله وقيمه العليا.[1]

**الأصولية**: بعيدًا عن الدلالة والمعنى اللغوي المجرد بأن الأصولية من الأصل أو أنها مجرد الرجوع للأصل، نذهب إلى إنّ الأصولية تعني الرجوع للأصل والانغلاق عليه، فليس الرجوع للأصل والجذور مذموم بالضرورة، ولكن الرجوع يكون محموداً من أجل استثمار الماضي في الحاضر، إي أنّ يصبح الماضي رصيداً وداعماً للحاضر، لا قيداً مكبلاً ومانع من الإحاطة وفهم الحاضر والقدرة على العمل والتكيف معه. حتى صار التوجه الأصولي اليوم علماً ورمزاً على الغلو والتطرف.[2]

**الثورة**: نعني بالثورة في سياق هذا الكتاب الثورة المسلحة، أو الثورة العسكرية، التي تلجأ إلى القوة لإحداث التغيير بالمجتمع، باستخدام القوة دون مراعاة، للظروف وأحوال المجتمع ودرجة الاستعداد، فهي

---

(1) يرد لفظ شاكلة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا**﴾، سورة الإسراء، الآية 84، ليعبر عن أسلوب وعقلية ونمط التفكير لدى شخص ما، ولهذا فسرها البعض بالدين. أنظر: (الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ – 2000 م، ج 17 ، ص 541).

(2) Khan, Wahiduddin, **Islamic Fundamentalism**, India, Goodword, first Edition, 2015. pp. 6-8.

عنيفة وسريعة، ولا تراعي سنة التدرج بل تقوم على العجلة والفورية، وهي ثورة لأنها تسعى للتغير الجذري الذي يبدأ في نسف كل ما هو موجود وقائم بكل نجاعة، ولكنها تقف عاجزة أمام متطلبات إقامة البديل المناسب، وهي بخلاف الثورة الفكرية التي تسعي لإحداث تحول في المجتمع من خلال تغير أساليب وآليات التفكير، وتكتسي بالطابع السلمي، وتقوم على الإقناع وتراعي درجة الاستعداد والتدرج.

**الفقه:** نعني بالفقه هو الأحكام الفقهية التي صاغها الفقهاء والمتعلقة بالمسائل والقضايا الدنيوية والدينية، والمدرجة في شكل مسائل في المصنفات الفقهية المتنوعة، ولا نعني بالفقه بمعناه الواسع: وهو الفهم. أو الفهم وإدراك الحكمة والعمق في أسرار الدين، كما في الحديث: "فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد".[1]

**تفسير الدين:** تقديم تفسير للدين أو تصور جديد للدين نعني به، أن الخطاب المقدم في فهم وعرض الدين يتعدى أسلوب التأكيد الخطابي أو حتى مجرد الاجتهاد الفقهي أو الحكم القضائي، بل هو رسم للتصور الحقيقي للدين، وعليه فكل ما يقدم من آراء على ضوئه يأخذ بصورة حقيقية مطلقة، ولا يعد مجرد تأكيد بصيغة مجازية، أو حكم رهين بظروفه وملابساته. والأسلوب الخطابي يستخدمه الخطيب في المسجد مثلاً،

(1) الحديث رواه الترمذي في سننه، حديث رقم (2681): (حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا الوليد بن مسلم حدثنا روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد)، أنظر: بن سورة، أبي عيسى (الترمذي)، **الجامع الصحيح** وهو سنن الترمذي، تحقيق وشرح وتعليق: أحمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي وأولاده، ط2، 1398هـ ـ 1978م، ج 5، ص48. (كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة).

من أجل التأكيد على قيمة ما غائبة، كأن يقول: **من لا يساعد المحتاج لا دين له**، معتبراً أن مساعدة المحتاج هي القيمة الأساسية للدين، وأصل الدين كله، لمجرد التأكيد على أهميتها، وهو هنا لا يقوم بدور المفسر بل الخطيب. وإلا لأصبح أصل الدين هو مساعدة المحتاج، وليس معرفة الله تعالى وعبادته.

**الخلافة**: بالمفهوم التقليدي لدي أهل السنة، كما نجدها مدرجة ومقيدة في كتب التراث، أي السلطة التي تتولي حراسة الدين والدنيا، وهى قريبة من معنى الإمامة، كما عبر عنها إمام الحرمين الجويني، بالقول: «الإمامة رياسة تامّة، وزعامة تتعلق بالخاصّة والعامة في مهمات الدّين والدنيا».[1] أو الماوردي في الأحكام السلطانية بأن: «الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدّين وسياسة الدُّنيا».[2]

**العقل الإسلامي المعاصر**: أو العقلية الإسلامّية المعاصرة، هو ما يمكن اعتباره تعبيراً عن «العقل المشترك» لشريحة كبيرة من المسلمين، إذ رغم الاختلاف الظاهر في أسلوب العمل والحركة، والتخطيط ووضع واختيار الأولويات، لدى المشتغلين والمعنيين بالفكر السّياسّي المعاصر، ظلت هناك منطلقات فاعلة في العقل والفكر الإسلامّي المعاصر. فهناك ما يمكن أن نسميه الشخصيّة الأساسية[3]

---

(1) الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي، **غياث الأمم في التيات الظلم**، القاهرة، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، 1970م، ص15.

(2) الماوردي، أبو الحسن على، **الأحكام السلطانية**، تحقيق: أحمد جاد، القاهرة، دار الحديث،الطبعة الأولي، 1427هـ2006-م، ص 15.

(3) **الشخصية الأساسية** (Basic Personality)، يعرفها علم النفس بأنها: (نمط من التفكير والمشاعر والسلوك التي تكون مميزة لشعب نشأ في ظل ذات الثقافة، وتلك التشابهات في الشخصية، هي وليدة ونتيجة للتعرض والمعايشة ... وهي حصيلة لجملة من المؤسسات

أو القاعدية[1]، في الفكر الإسلاميّ المعاصر لدى شريحة هامّة، من المفكّرين والمنظرين والباحثين والحركيين. على الرّغم من اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم ومقاصدهم ومدارسهم الفكريّة وانتماءاتهم، بل ربما تقاسمها أحياناً كثيرة معهم عوام النّاس أو عموم المسلمين.

**د.طارق بن ساسي**

طرابلس 1 يناير 2026م. 218928530104+

saadtareq@yahoo.com

---

في المجتمع كالدين والعادات ولتقاليد)

See:- (www.psychologydictionary.org/basic-personality).

(1) يمكن تعريف الشخصية القاعدية بأنها حصيلة تراكمات تاريخية واقتصادية وسياسية واجتماعية تمتد لفترات زمنية طويلة منذ بزوغ الإسلام، وطبعت الإنسان المسلم بطابع خاص وأكسبته صفات معينة وتحكمت إلى حد ما في تمثلاته وسلوكياته، خاصة في نظرته لنفسه والآخر والعالم من حوله، فهي نتاج لميراث ديني وتراكم تاريخي وثقافي وحضاري، شكل آليات التفكير الحاكمة لدي العقلية الإسلامية.

# الفصل الأول

# مفهوم الإرهاب ومبرراته

تناول هذا الفصل مفهوم الإرهاب وبيان مبرراته، ويسعى للإسهام في حلّ الإشكالية الموجودة حول مفهوم الإرهاب الناجمة عن عدة أسباب، من خلال تقديم مقاربة تحليلية لتعريف الإرهاب، ولوضع إطار مرجعي في التقييم والكشف عن الخلط في مسألة التبرير للفعل الإرهابي، وتجنب ربط الفعل الإرهابي بالفاعل، فيقيم الفعل الإرهابي بعيداً عن مرتكبيه وهويتهم، وبذلك يستثني الفعل الإرهابي من تحديد هوية الإرهابيين. وقد قسم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث، وهي: (**المبحث الأول: التنازع حول مفهوم الإرهاب**)، و(**المبحث الثاني: تحديد مفهوم الإرهاب**)، و(**المبحث الثالث: تبرير فعل استخدام العنف**).

## المبحث الأول

## التنازع حول مفهوم الإرهاب

بلا شك أنّ هناك إشكالية تواجه معظم الباحثين في تحديد مفهوم الإرهاب[1] حين يلقى التيار الفكري أو الانتماء العقائدي الواحد

(1) يشير الكثير من الكتّاب لهذه الصعوبة في تحديد مفهوم الإرهاب، فالخلاف الدائر

أحياناً بظلاله، كما تشارك وتسهم في زيادة الصعوبة في تحديد مفهوم الإرهاب، تنوع الخلفيات في التناول إعلاميةً كانت أو سياسيةً أو قانونيةً أو اجتماعيةً أو حتى نفسية أو غير ذلك، ولا يوجد أتفاق حول مفهوم الإرهاب حتى داخل الكيان السياسي الواحد، في ظل غياب إجماع حول تعريف محدد للإرهاب،[1] فعلى سبيل المثال نجد في الولايات المتحدة الأمريكية التي عنيت مؤسساتها السياسية والقضائية والأمنية ومنابرها العلمية والأكاديمية، عناية كبيرة بتحديد مفهوم الإرهاب، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، تنازع وتضارب وجهات النظر من أجل تحديد مفهوم للإرهاب متفق عليه، فهناك تعريف تطرحه وزارة الدفاع وآخر تقدّمه الشرطة الاتحادية، وثالث يعبّر عن وجهة نظر المخابرات المركزية، وهكذا، وقد أشار روبرت بوت، صاحب كتاب **"الأخضر هو الأحمر الجديد"**، في مقابلة إذاعية معه، على موجات

حول مفهوم الإرهاب، لم يقتصر على الدول والهيئات الدولية والمنظمات بل امتدت حالة عدم الاتفاق على مفهوم محدد للإرهاب إلى المجال الأكاديمي والعلمي، ومن أهم الجهود والدراسات التي رصدت هذا التباين في وجهات النظر، ما قام به أليكس سميد فقد كرس مئات الصفحات لفحص أكثر من مئة تعريف مختلف للإرهاب، سعيا للحصول على شرح مقبول وشامل على نطاق واسع لكلمة الإرهاب، وبعد أربع سنوات من البحث، أصدر الطبعة الثانية من دراسته مصدرة بالعبارة التالية، «البحث عن تعريف ملائم مازال غير متاح»، أما والتر لاكيور، فهو أصلاً فاقد الأمل في الوصول إلى تعريف محدد وفي كتاباته المتعمقة حول الإرهاب، لم يسع إلى تعريف الإرهاب فهو أمر غير ممكن وغير جدير بالمحاولة، لمزيد من التفصيل، انظر:

- (HOFFMAN, Bruce, **La Mécanique Terroriste**, France, Nouveaux Horizons, 2002, pp.12-54.).

(1) التعريف: (Definition)، أو ما يطلق عليه في علم المنطق القول الشارح، هو مجموعة الصفات التي تكون مفهوم الشيء مميزاً عما عداه، وهو إذن والشيء المعرف سواء، إذ هما تعبيران أحدهما موجز، والآخر مفصل عن شيء واحد بالذات، ويجب أن يكون التعريف جامعاً، أي يشمل كلّ الأفراد الذين ينطبق عليهم اللفظ، ومانعاً من أن ينطبق على أي شيء آخر غير اللفظ المعرف.

محطة "فان كوفر ميدا كربوريشن"، بعنوان: "**إعادة تعريف الإرهاب**"، إلى غياب تعريف للإرهاب في وسائل الإعلام وأثناء الخطابات الرئاسية أو في المؤتمرات، فقد ظل مفهوم الإرهاب عائمًا، ولم ينجح بعض الدارسين في الوصول إلى تعريف يجمع عليه رغم إنفاق سنوات طويلة من العمل، معتبرا إن الأمر قد بلغ إلى حد غياب تعريف واحد يمكن الاتفاق عليه، ويمكن توظيفه من قبل أيّة حكومة ولاية، في الولايات المتحدة، أو أيّ فرع من فروع الحكومة الفيدرالية، أو أيّة جهة من جهات سن القوانين...الخ، واعتبر إن تعريف وتحدد مفهوم الإرهاب كان العمل الأصعب الذي واجهه أثناء إجراء دراسته.[1]

هذا الأمر في الواقع مردّه إلى اختلاف الرؤى والمنطلقات والمواقف ومن ثمّ المقاصد والغايات[2]، وبحسب تقدير سالم المارياتاوي في محاضرة له بعنوان: "**استجابة الولايات المتحدة الأمريكية للإرهاب**" أن الصعوبة البالغة في الوصول إلى تعريف محدد يتفق عليه الجميع مردها للتنازع في الحقل السياسي، ذلك أنّ الحديث عن تعريف الإرهاب سياسياً يترجم في الغالب بأنّ ما يقوم به الآخر هو الإرهاب – بمعنى أنّ الآخرين هم الإرهابيون- وما نقوم به نحن عمل مبرّر ومشروع، ولهذا قدم تعريف يري أنّه محل أتفاق للجميع، وهو: «**استهداف المدنيين**

(1) أنظر تسجيل صوتي للمقابلة (في 21 أغسطس 2011م ، في التون واشنطن)، على موقع الارشيف:
(www.archive.org).
(2) TTSRL Report, **Notions of Security**, 14 February 2007, Deliverable 1, Work package 2, Available at :
(www.iripaz.org/list_vert/08/Notions%20security%20Transnational%20Terrorism.pdf).

**بالعنف لإخافتهم لأجل تحقيق غرض عسكري سياسي**»[1]. والحقيقة أن التنازع حول مفهوم الإرهاب يتعدى المجال والميدان السياسي، وما أشار إليه الماريياتاوي هنا يضعنا أمام سبب أساسي في الاختلاف حول تحديد مفهوم الإرهاب، ولكن هناك أسباب أخرى غير ذلك السبب، والتعريف السابق الذي يقدمه سالم الماريياتاوي، على ما يحظي به من قبول عام، بحسب تعبيره، حيث قال: « **أن هذا التعريف مقبول من كل أحد تقريبا**»، لا يتأتى من الناحية الواقعية، فبالرجوع للجدل القائم حول مفهوم الإرهاب، هناك دائماً خلاف حول أبسط النقاط التي قد تبدو أن لا خلاف حولها، فهناك خلاف اليوم، إذا ما كان العمل يعد عمل إرهابي أم لا في حال استهداف العمل أناسًا غير المدنيين، كالجيش ورجال الأمن؟ كما أن هناك خلافًا حول أحداث الرعب أو الإخافة من عدمه، فهناك من يقول أن العمل الإرهابي، قد يولد عنفًا بالضرورة، فقد يولد حالة من الكره أو الازدراء، وهناك خلاف أيضاً حول قصور العمل الإرهابي على استهداف الأفراد أم يطال العمل الإرهابي حتى الممتلكات دون الأفراد، وهكذا[2].

إذن الخلاف والتنازع حول تحديد مفهوم الإرهاب من المسائل المتعذرة عن الحصر، ولقد ساهم في تلك الصعوبة، كثرة وتنوع أبعاد ظاهرة الإرهاب، وسيظل هذا الجدل دون انقطاع في المدى المنظور

(1) الماريياتاي، سالم، **محاضرة بعنوان: (استجابة الولايات المتحدة الأمريكية للإرهاب (مقاربة غير متوازنة)**، لمزيد من التفصيل يُنظر الي:
"**U. S. Respond to Terrorism: Unequal Approach by Salem Al-Marayati**," at: **(www.archive.org.).**

(2) DARDIS, Tony, **Primoratz on Terrorism,** Journal of Applied Philosophy, Vol.9, No.1, 1992, pp.93-97.

على الأقل، خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أنّ هذا الأمر على ما يبدو لا يكفي فيه أحياناً، مجرد العرض العلمي والمنطقي، فالمسألة تتعدى نطاق البحث والتحليل العلمي والمنطقي لدى البعض ويداخلها عنصر الرغبة والإرادة لتقبل تفسير أو موقف ما لظاهرة الإرهاب، فالمرء قد تتملكه رغبة في اختيار أو انحياز لمفهوم ودلالاته دون غيره. وهذا سبب يدعونا ليس فقط لتقديم المعلومات أثناء المساهمة في معالجة ظاهرة الإرهاب، بل هناك ضرورة وحاجة للمجاهرة واستنكار ورفض ظاهرة الإرهاب وتجريدها من أَسْمال المبررات الزائفة التي تدَثَّرَت وتلفعت بها، الأعمال الإرهابية.

إنه من الضروري الوقوف على إشكالية تعريف الإرهاب، سعيًا للوصول إلى مفهوم نراه الأنسب وربّما الأدق لمفهوم الإرهاب، وليكون تعريفًا مرجعيًا للبحث، فتسليط مزيد من الضوء على مفهوم ودلالة مصطلح الإرهاب، يحقّق جملة من الأغراض منها:

- تلبية الحاجة لوجود تعريف مرجعي علمي تحليلي ضروري للدراسة بما يمكن من إزالة إي تبرير لأعمال العنف الإرهابية.
- تحديد حقيقة التحدي الإرهابي والكشف عن الانحياز أو عدم الموضوعية، التي تستبعد الكثير من الأعمال الإرهابية، استناداً على تعريف ظاهرة الإرهاب.
- تناول مفهوم الإرهاب بالدراسة والتحليل يُعَدّ أولوية، لوضع خلاصات نقدية عامة عن ظاهرة الإرهاب.

- إثارة إشكالية التعريف من خلال تناول مصطلح الإرهاب بطريقة علمية وموضوعية ومنطقية، بطرح تلك الإشكالية بشكل عام بوصفها وسيلة أساسية لدراسة أي مفهوم أو ظاهرة سعياً من أجل تقديم نموذج للمعالجة.

لهذا وغيره، نرى ضرورة هذا التناول، للخروج من الجدل اللغوي والاصطلاحي[1]، سعيًا لإيجاد مفهوم مرجعي تحليلي لمفهوم الإرهاب.

## المبحث الثاني

# تحديد مفهوم الإرهاب

لتحديد تعريف[2] دقيق وعلمي منطقي لمفهوم الإرهاب لابد من البحث عن الصفة الجامعة أو الرابطة الجامعة لمفهوم الإرهاب،

---

(1) تكلف العديد من الباحثين في بحثهم عن مرادف في اللغة العربية لكلمة إرهاب (TERRORISM) من خلال البحث في الدلالة اللغوية لمفهوم الإرهاب في اللغة العربية بإرجاع الكلمة للجذر (رهب)، بحثاً عن تأصيل لغوي للكلمة في العربية، ومثل هذا الجهد فيه شيء من المغالاة حدًّا جعل البعض يطالب بإطلاق كلمة أخرى كالحرابة على الإرهاب، إذ لا يصلح لفظ الإرهاب العربي في سياق اللغة والسياق القرآني، ليتفق مع المعنى والدلالة الأجنبية لكلمة (TERRORISM)، وهذا الجهد متكلف، إذ إنّ الكلمة واللفظة أجنبية، وليدة لثقافة ثانية (لغة)، إبّان الثورة الفرنسية ولا علاقة بينها وبين المصادر والمراجع العربية الحاوية لمفردات اللغة العربية عصر التدوين، واستخدامنا لكلمة إرهاب في اللغة العربية اليوم نضيرًا لكلمة (TERRORISM)، هو استخدام مقبول، يدعمه وتصدقه الدلالة المنصرفة في الذهن عند استخدامنا لهذه الكلمة على أساس مبدأ الاستقراء، الأهم في تحديد دلالات وقواعد اللغة.

(2) التعريف :(Definition) أما ما يطلق عليه في علم المنطق القول الشارح، هو مجموعة الصفات التي تكون مفهوم الشيء مميزاً عما عداه، وهو إذن والشيء المعرف سواء، إذ هما تعبيران أحدهما موجز، والآخر مفصل عن شيء واحد بالذات، ويجب أن يكون التعريف جامعاً، أي يشمل كلّ الأفراد الذين ينطبق عليهم اللفظ، ومانعاً من أن ينطبق على أي شيء

وهذا الأمر يساعد في تشكيل إطار جامع للأفعال التي تدخل في دائرة الإرهاب من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكننا من استبعاد الأعمال غير الإرهابية عن دائرة ضمها إلى الأعمال الإرهابية، فمحاولة تحديد كنه هذا المفهوم يعزز القدرة للإجابة على جملة من التساؤلات الكثيرة حول مفهوم الإرهاب، أهمها:

- ما الفعل الإرهابي (ما أركانه) ؟
- هل من الممكن تبرير الفعل الإرهابيّ ؟
- هل المناضل أو المقاتل من أجل الحرية يُعدُّ إرهابيًّا ؟
- هل يُلصق لفظُ الإرهاب بالجهة الفاعلة؟
- هل تدخل الدولة ضمن الفاعلين والإرهابيين ؟

في دراسة له بعنوان "**ملاحظات على الإرهاب**" قدّم الكاتب (**إبراهام إدل**) تعريفاً تحليليًّا، لكارل وليم نقلاً عن قاموس التحليلات الفلسفية في تعريف الإرهاب، بأنه: "**الاستخدام أو محاولة الاستخدام للرعب وسيلة للإكراه**".

"The use or attempted use of terror as means of coercion"[1]

---

آخر غير اللفظ المعرف، (لمزيد من التفصيل في هذه النقطة يمكن الرجوع **لموسوعة الفلسفة**، لعبد الرحمن بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984، ج 1، ص 423.)، وتأسيسا على ذلك يمكن تحديد العلاقة باستخدام المنطق الرياضي، وتحديداً الشكل الرياضي للتقاطع للوصول للتعريف المحدد من خلال تحديد أركان الإرهاب.

(1) EDEL, Abraham, " **Notes on Terrorism**", (pp.450-452), in: **Values in Conflict: Life, Liberty And The Rule Of Law**, Burton M. LEISER, New York, Macmillan Publishing Co. Ltd, 1981, p.477.

مضيفاً أنّ هذا التعريف يتلاءم مع الحالات الواضحة لمنظمة تآمرية لإرهاب الناس بأفعال عنف مباغتة، وأقل ملائمة للتهديدات الفردية والأفعال والأوضاع التي في العموم تنجم بدون نية مبيتة للإرهاب، كتهديد الطلاب بالرسوب في حالة تأخرهم في تقديم أوراق الإجابة، وكالخوف الشديد من التنقل في الظلام عند وجود قطاع طرق، فالعمدية تعدّ ركناً أساسياً في الفعل الإرهابي، ويخلص من مناقشته للتعريف إلى ثلاثة أركان رئيسة للإرهاب،[1] هي:

**أولا**: وجود فعل ينجم عنه الرعب.

**ثانيا**: هذا الفعل يتم بقصد ونية لإحداث الرعب.

**ثالثا**: هذا القصد هو الإكراه على الفعل أو الامتناع عنه.

إذن من خلال تعريف مارك وليام الوارد في قاموس التحليلات النفسية، هناك ثلاث خصائص رئيسة، إحداث الرعب وبصورة قصدية بدافع الإكراه لتحقيق غاية، ومسألة الغاية يجب التفريق فيها بين الغاية المدفوعة النابعة من خلفية فكرية ودوافع عاطفية ملازمة لها، وهى الغاية المطلوبة للفعل الإرهابي، وتلك المدفوعة لتحقيق كسب ونفع شخصي، وهى الغاية التي تدفع البعض لاقتراف الجريمة المنظمة[2].

والتعريف السابق رغم تحديده لأهم أركان الفعل الإرهابي يحتاج إلى إضافة ركن أو صفة أساسية أخرى، وهو أن يطال هذا الفعل الأبرياء،

---

(1) Ibid., p. 478.
(2) TTSRL Report, **Isolating Terrorism**, 13 August 2007, Work package 3, Available at :
(www.transnationalterrorism.eu/tekst/publications/Isolating%20Terrorism.pdf).

انطلاقًا من القناعة بأنه لا مبرر على الإطلاق للاستهداف المتعمد للمدنيين، فاستهداف المدنيين الأبرياء مهما كانت ظروفهم الشخصية أو توجهاتهم السياسية يتعذر تبريره[1]. استهداف المدنيين هو الركن الذي أضيف إلى جانب الأركان الثلاثة الواردة في تعريف مارك وليم السابق. وقد ورد هذا الركن الرابع في تعريف كودي (Coady): «**التكتيك المعتمد لاستهداف غير المقاتلين أو ممتلكات غير المقاتلين، عندما تتعلق بالحياة والأمن، بعنف شديد أو مهلك... بغية الحصول على نتائج سياسية من خلال توليد الرعب**».

«The tactic of intentionally targeting non-combatants [ or non-combatant property, When significantly related to life and security] with lethal or sever violence… meant to produce political results via creation of fear.[2]»

وتأسيسًا على هذه الأركان، يمكننا تحديد دائرة الفعل الإرهابي الذي تتوفر فيه الأركان الأربعة السابقة، وهى على النحو التالي :

1. فعل عنيف يولد رعباً.
2. يتم بقصد ونية (متعمد).
3. بقصد الإكراه على القيام بفعل أو الامتناع عنه.

(1) NEUMAYER, Eric and PLUMPER, Thomas, **International terrorism and the clash of civilizations**, London, Cambridge University press, 2009, British journal of science, Vol.39, No.4, pp.711-734. See: (www.eprints.lse.ac.uk, On line article: The London School of Economics and Political Science-LSE Research Online- International Terrorism and the Clash of Civilizations-Second revised Version-Mach 2008.).

(2) COADY, Tony, **Terrorism**, Encyclopedia Of Ethics, Routledge, New York and London, Second Edition, Vol.3, p.1699. See: (www.plato.standford.edu/entries/terrorism/).

4. يستهدف الأبرياء (المدنيين - غير المقاتلين...).

إضافة إلى الأركان السابقة، لاكتمال أركان الفعل الإرهابي، فإنه مقتصر على الإفراد والجماعات غير المخولة باستخدام العنف،[1] انطلاقاً من رؤية دينية أي بالرجوع إلى التعاليم الإسلامية، وهى رؤية يطرحها **وحيد الدين خان** كعالم دين، في العديد من مؤلفاته، وفي إحدى مقالاته، بعنوان "**الإرهاب في ضوء التعاليم الإسلامية**"، نشرت على صفحات مجلة روح الإسلام، أشار الكاتب إلى تحول مفهوم الإرهاب إلى ما يشبه الأحجية، وهناك غياب لمفهوم واضح حول الإرهاب كتاباً أو شفاهةً، عليه فإنه تقدم بتعريف للإرهاب أسسه على هدى التعاليم الإسلامية، بأنّه: «**هو نضال مسلح لأشخاص غير الحكومات**».

" **It is an armed struggle by non-governmental**"[2]

معتبراً أن تعاليم الإسلام تعطى الأفراد والجماعات الحق في إطلاق حركات سلمية لتحقيق أغراض سياسية أو مجتمعية. وأن الاحتفاظ بهذا الحق للجميع أفرادًا وجماعات، مادام لم يتم الانخراط في أعمال عدوانية بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فطبقاً لتعاليم الإسلام فإن حق

---

(1) وهو عين ما ورد في تعريف الموسوعة السياسية بالقول: "**الإرهاب**: استخدام العنف -غير القانوني- (أو التهديد به)، بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف، بغية تحقيق هدف سياسي معين مثل كسر روح المقاومة والالتزام عند الأفراد وهدم المعنويات والمؤسسات أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال وبشكل عام استخدام الأكره لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية...وكثيراً ما يكون اللجوء إلى الإرهاب طريقة من طرق خرق الحصار المضروب من قبل الطبقات الحاكمة واحتكارها للعنف (القانوني)..»، أنظر: الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993، ط 2، م1، ص 153.

(2) KHAN, Wahiduddin, **Terrorism In The Light Of Islamic Teaching**, Spirit of Islam, No.9, September 2013, pp.4-5.

اللُجُوء للقوة يكون حكراً على الحكومات،[1] التي لها دون غيرها حق استخدام القوة أو الانخراط في أعمال عسكرية حال وجود حاجة حقيقة لذلك. أمّا المنظمات غير الحكومية فليس لها الحق في حمل السلاح تحت أي ظرف.

أنه بالرجوع للمبادئ الدولية المقبولة، فإنّ الحكومات القائمة لها الحق في استخدام العنف لمعاقبة المجرمين والانخراط في أنشطة دفاعية ضد المعتدي. وذلك في تقدير **وحيد الدين خان**، مبدأ إسلامي أيضاً، وعلى ضوء هذا المبدأ، ذهب لتعريف الإرهاب بفعل مسلح يقوم به فرد أو جماعات غير مخولين باستخدام العنف (غير الحكومات).

ويرى أنّه في حالة وقوع الظلم فليس أمام الأفراد إلا استخدام الوسائل السلمية، وأكد على أنّه حتى في حال فشل الحكومات في القيام بالمهام المنوطة بها، فمن غير المسموح منازعتها الأمر، بل هناك خيارين لا ثالث لهما، إمّا الصبر أو استنفاذ الجهد لتحسين الأوضاع باستخدام الوسائل السلمية. ولتكون المسألة أكثر وضوحاً تقدم وحيد الدين خان بمثال توضيحي، مفترضاً قيام طبيب جراح بعملية جراحية لمريض ما، ولكنه أخطأ في استخدام مشرط الجراحة، فيكون الطبيب بذلك قد أساء استخدام التصريح الممنوح له من أجل استخدام مِبْضَعُ الجراحة بصورة صحيحة ومناسبة، ولكن الحال مختلف بالكامل إذا كان الشخص الذي استخدام مِشْرَطُ الجراحة، بصورة غير سليمة ليس طبيباً في الأصل أي

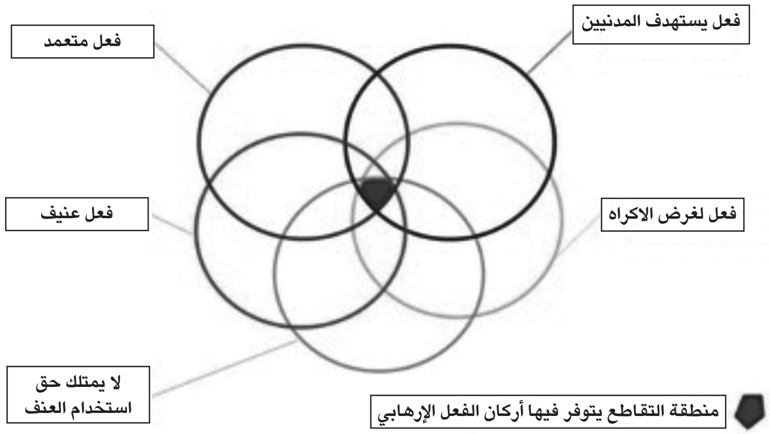
(1) لعل ذلك يذكرنا بالرأي الفقهي بأنّ الجهاد القتالي هو أمر بيد السلطة أو الإمام (ولي الأمر)، ولا يحق للأفراد القيام به، بشكل منفرد دون الرجوع للإمام، وهذا أمر مساو لحق إعلان الحرب اليوم الذي توضع عليه قيود جمة، وتنص أغلب الدساتير على أنّه حق للأمة (الشعب)، وليس لشخص أو قلة الانفراد به، وإن كان لا بد فهو مقيد بإرادتها ومشورتها.

أنّه غير مخول باستخدام المشرط الجراحي على المرضى، وتحت إي ظروف كانت.[1]

إذن يمكننا الآن تحديد دائرة الفعل الإرهابي، باستخدام علم المنطق الرياضي، من خلال جملة الأفعال الداخلة في منطقة التقاطع الكامل لعدة دوائر، إذا افترضنا أنّ كلّ دائرة تشكل ركنًا من أركان الفعل الإرهابي، وقد تتداخل الدوائر فيما بينها، والشرط الأساس في الفعل الإرهابي أن تتداخل جميعها لتشكيل نطاق الفعل الإرهابي، ما يدخل فيه من أعمال فهو عمل إرهابي وكلّ ما لا يدخل هو خلاف ذلك، لأنّ عدم توفّر ركن أو أكثر من تلك الأركان الخمسة يبعد الفعل عن دائرة الفعل الإرهابي.[2] ويمكننا توضيح تلك العلاقة من خلال الرسم التالي:

(1) KHAN, Wahiduddin, **Terrorism In The Light Of Islamic Teaching**, Spirit of Islam, No.9, September 2013, pp. 4-5.

(2) اعتمدنا في تصور هذا الشكل على علم المنطق المعاصر وتحديداً ما يسمي علم المنطق الرياضي، وهو علم حديث استخدم الرياضيات لحل إشكالية المنطق في وضع فروض صحيحة والوصول إلى نتائج دقيقة وصحيحة، لمزيد من التّفصيل يُنظر:
**The Encyclopedia of Philosophy**, New York, Macmillan, 1972, Vol.4, pp. 441-548. (See: MODERN LOGIC: THE BOOLEAN PERIOD).




يجمع الشكل الأركان الخمسة لتحديد نطاق العمل الإرهابي، وهي كونه فعل عنف بشكل متعمد، بغرض الإكراه، يستهدف المدنيين، وتقوم به أطراف، غير حكومية، لا تمتلك مشروعية اللجوء للعنف أصلاً. والمنطقة الغامقة المشتركة أو منطقة التقاطع بحسب المنطق الرياضي هي نطاق حصري للعمل الإرهابي.

إنّ تحديد مفهوم الإرهاب بهذا المعنى، يسهم في حلّ العديد من الإشكاليات، فالتعريف لا يبحث عن هوية الفاعلين أفراداً وجماعات (مقاتل من أجل الحرية – حركات ثورية)، فالعبرة لا بشخص الفاعل، بل بالفعل ذاته، ويستبعد مسألة النوايا (الحسنة)، إذ لا يرى مبرراً لاستبعاد أي فعل عن كونه فعلاً إرهابيًا إذا ما توفرت فيه الأركان السابقة، وإطلاق وصف الإرهاب على فعل ما، تقوم به جماعة ما، لا يعني بالضرورة أن تلك الجماعة إرهابية على الإطلاق، فقد يعد عملاً استثنائياً مثلاً، ويستنكر فعله.

وقبل الانتهاء من هذه النقطة علينا مناقشة مسألة التبرير أو تبرير الفعل الإرهابي، حيث ذكرنا في السابق، أننا لا نرى العمل الإرهابي مبرراً، أو يمكن تبرريه، إذا ما توفرت فيه الشروط والأركان السابقة عموماً، وعلى الخصوص، استهداف الأبرياء أو ممتلكاتهم .. مستبعدين مسألة شرعية الفعل الإرهابي، بوصفه محددًا لمفهوم الإرهاب، فهو كما ذكرنا غير مبرر أصلاً.

## المبحث الثالث

## تبرير فعل استخدام العنف

تحتكر الدولة أو السلطة حق استخدام العنف لفرض النظام والقانون، ولا يجوز للأفراد والجماعات استخدام العنف أو القوة الماديّة لتحقيق أغراضهم، وقد برر بعض الأفراد والجماعات حق استخدام العنف لتحقيق أهدافهم ابتداء من العمليات الانتحارية إلى الانقلابات، وقد ثار جدل غير منقطع حتى يومنا هذا، حول مشروعية استخدام القوة والثورة المسلحة، وهو أمر جدّ لصيق بموضوعنا، حيث يقوم الكثيرون بأعمال عنف إرهابية ضد الآخرين مبررين ذلك بوقوع الظلم عليهم، وأنّ استخدام العنف هو السبيل الوحيد لرفع الظلم، فالشعور بالظلم، أحد أهم عوامل تأجيج وتسويغ العمل العنيف ومن ثّم العمل الإرهابي، وليس أدل على ذلك من نتائج دراسة قام بها روبرت بابي[1]، التي أسسها على بحث ميداني لثلاثمائة وخمسة عشرة عملية انتحارية، متضمنة لجميع العمليات الانتحارية حول العالم في الفترة من 1980 إلى 2003 م،

(1) PAPE, Robert, **Dying To Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism**, New York, Random House, 2005.

معتبراً أن العمل الانتحاري هو الأهم في التعرف على العمل الإرهابي لعدة أسباب أهمها:

**أولاً**: حجم الضرر المترتب على العمل الانتحاري بالمدنيين والممتلكات، مستدلاً بأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، حيث تمكن بضع عشر شخصاً من خلال عملية انتحارية من قتل ما يتجاوز ثلاثة آلاف مواطن أمريكي.

**ثانياً**: إلحاق ضرر بالغ بالاقتصاد والإضرار بالصورة المعنوية للدول، كما حصل في الحالة الأمريكية من إضرار بالغ بالاقتصاد الأمريكي والمساس بهيبة الولايات المتحدة بصفتها أعظم قوة عالمية.

**ثالثاً**: إحداث تحول كبير وربما جذري في السياسات، والدفع لاتخاذ مواقف ردّ فعل غير متزنة تحت الشعور بالتهديد وعدم الأمن، كإعلان الحرب على الإرهاب والتورط في مستنقع أفغانستان والعراق بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

ولما كانت ظاهرة العمل الانتحاري هي الأهم والأخطر، والصورة الأقرب للتعبير عن نفسية مرتكبي الفعل الإرهابي، يخلص الباحث روبرت بابي بعد تناولها والتعرض لها إلى أنّ الاحتلال أو العدوان الخارجي وما يتولّد عنه من شعور بالضيم وردود أفعال، هو المولّد والدافع الحقيقي للعمل الانتحاري الذي يرقى إلى ذروة العمل الإرهابي ويشكّل سنامه، فليس الجانب الديني أو العقائدي وحده، هو الدافع للعمل الإرهابي، وإن كان لهذا العامل تأثيرًا كبيرًا في تغذية الدوافع السلبية وبث روح الانتقام والعداوة، وهو ما سنعرض له لاحقاً.

جاءت دراسة "روبرت بابي" حول ظاهرة الهجمات الانتحارية، تحت عنوان "**الموت لإِحْرَازُ النَّصْرِ: المنطق الاستراتيجي للهجمات الانتحارية الإرهابية**"، [1] لتعكس جانبًا مهمًّا، وتشير إلى أنّ المسئولية عن الفعل الإرهابي وشيوعه مسئولية مشتركة في كثير من الأحيان بين الفاعل والمستهدف.

كمّا أنّ هناك خلطاً كبيراً متعلقاً بتبرير العمل الإرهابي نجم عن مسألة نبل وعدالة الغاية من الفعل الإرهابي، والعبارة الشهيرة "**شخص إرهابي وآخر هو مقاتل من أجل الحرية**" أطلقت على الجدل الدائر حول مساعي الكثيرين للتحرر الوطني والاستقلال الذاتي من جهة، والتضارب في تقييم هذا السعي بين الإرهاب والعمل البطولي من جهة أخرى، وهذا يطرح الكثير من الجدل حول جملة من القضايا، وسنعرض لبعض منها، والتي تحتل أهمية خاصة، في الحديث عن مسألة تبرير الفعل الإرهابي، وتقديم مشروعية فكرية نظرية للقيام به، وهي على النحو التالي:

---

(1) يعد كتاب **روبرت بابي، الموت لِإحْرازُ النّصْرِ**، أحد أهم الكتب الصادرة مؤخراً، حول ظاهرة الهجوم الانتحاري، وهو تحليل لظاهرة الهجوم الانتحاري من الجانب الاستراتيجي والاجتماعي والنفسي، وتميز الكتاب بأنه قائم على قاعدة من البيانات ضمت ثلاثمائة وخمس عشرة حالة هجوم انتحاري شملت جميع حالات الانتحار حول العالم في الفترة من 1980 حتى 2004م، وتوصل الباحث إلى أنّ البيانات تشير إلى وجود علاقة بسيطة بين الهجمات الانتحارية والدوافع الدينية، وأن الاحتلال الخارجي هو العامل الأهم في زيادة الهجمات الانتحارية، وفي تقديري أنّ القيمة الأساسية للكتاب هو التأسيس على بيانات دقيقة في الوصول إلى معطيات وحقائق بدل الإشباع النظري أو الافتراضي في البحث، ونتائج هذه الدراسة جاءت بخلاف الرأي السائد في أوساط أمريكية مؤثرة في صنع القرار قبل غزو العراق، بأنّ الذهاب إلى العراق بوصفه دولة علمانية الطابع لن يحدث الغزو فيها هجمات انتحارية مادام الدين هو الدافع الأساس للعمل الانتحاري وليس الاحتلال الخارجي، يُنظر:
PAPE, Robert, **Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism**, New York, Random House, 2005.

## أولاً: العنف وسيلة مثلى ووحيدة للتغيير أو الإصلاح

في مجال الإصلاح والتغيير السياسي والاجتماعي، يبرز فريقان: يدعو أحدهما إلى مشروعية وضرورة استخدام العنف للتغيير والإصلاح، بينما يذهب الآخر إلى أنّ التغير والإصلاح عبر الكفاح السلمي أو ما يعرف باللاعنف، ورغم أنّ هذا الموضوع يحتاج لمزيد من التناول، يتعذر تناوله بالتفصيل في طيات هذا الكتاب، إلا أنّه يمكننا التعرض لهذه المسألة على وجه الإجمال.

يرى أنصار ودعاة اللاعنف أن استخدام الكفاح السلمي هو وسيلة أكثر فاعلية من استخدام العنف، فأنصار مذهب اللاعنف يرفضون –بشكل كامل- اللجوء إلى العنف تحت أي مبرر لغرض الإصلاح والتغيير، فهم في كل الأحوال ينزعون الشرعية على استخدام الفعل العنيف، وبالتالي الفعل الإرهابي أيًّا كانت الدوافع والخلفيات من ورائه فهو بالأساس غير مبرر، خلافًا للفريق الآخر، المنادي باستخدام العنف وسيلة للتغيير، فمع أتفاق الطرفين على قاسم مشترك وهو أن هناك مصلحة عليا كتحقيق الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية... الخ ، ووجوب السعي لذلك إلاّ أنّ الخلاف ظاهر في نوعية الوسائل لتحقيق تلك الغايات السامية، والتي رغم سُموها لا تبيح استخدام الإرهاب وسيلة لتحقيقها، الأمر الذي يتفق عليه الأغلبية خاصة إذا ما كان الفعل يمارس من الغير، فمن جهة تستنكر الدول وما في حكمها (الأنظمة - المنظمات الحكومية والدولية...) على الغير استخدام العمل الإرهابي ضد المدنيين وتَعُدُّهُ غير مشروع إذا ما مورس من قبل الغير وضد مصالحها، وبالمقابل قد تقوم بأعمال ترقى إلى العمل الإرهابي بذات الدوافع التي تدفع مرتكبي العمل الإرهابي، للحفاظ على حرية مواطنيها وأمنهم.

إنّ الدعوة لتبرير اللجوء إلى العنف والعمل الإرهابي وسيلة وحيدة ومثلى لدفع ظلم واقع أو تحقيق غاية نبيلة، لا تصمد أمام أيّ اختبار حقيقي، فهناك دائما وسائل أخرى لرفع الظلم أو تحقيق الغايات النبيلة، **كالمقاومة الأخلاقية والعصيان المدني والتخطيط الجيد للنشاط الاقتصادي والعمل السياسي**، تلك الجهود مجتمعة أو متفرقة، يمكن أن تؤثر بشكل بالغ في إزالة نظام بغيض بأقلّ استخدام للعنف، فهناك العديد من الحالات الملهمة لإزالة دكتاتوريات بلا استخدام للعنف وإراقة دماء، كحالة البرتغال واسبانيا في منتصف السبعينات، وهايتي والفلبين في بداية 1986م، والنظام الشيوعي في أوروبا 1989– 1990م، بينما في المقابل لم توجد أيّة حالة تمكنت فيها حركات العنف الإرهابية من إزالة التفرد بالسلطة والاستبداد.[1]

## ثانيًا: الغاية السامية مبررًا للفعل الإرهابي

إنّ الإقرار بمبدأ (**الغاية تبرر الوسيلة**) ليتحول الإرهاب إلى وسيلة لتحقيق غاية عليا وسامية يتم من خلالها استخدام العنف ضد المدنيين لتحقيق أهداف سياسية، هو إقرار بالمسلك والتوجه المبدئي القائم عليه حكم الإرهاب (Reign of Terror)، ففي المدة إبّان الثورة الفرنسية، اعتبر (روبسبير) أحد أبرز قادة الثورة والعقل المدبر لحكم الإرهاب، أن الإرهاب وسيلة للتخلص من أعداء الثورة، ومنع الثورة المضادة من إيجاد موطئ قدم، فالتهاون مع الخونة سيدمر الجميع، (Softness to traitor will destroy us all)، مبرر الإرهاب بالقول:

(1) WILKINSON, Paul, **Terrorism Versus Democracy**, London, Routledge, Second Edition, 2006, pp.192-193.

« إنّ ثمرة الحكومة الشعبية وقت السلم هو الفضيلة، وثمار الحكومة الشعبية في زمن الثورة الفضيلة والإرهاب معاً، الفضيلة بلا إرهاب مهلكة، والإرهاب بلا تلك الفضيلة ضعيف. الإرهاب لا شيء آخر سوى العدالة، والإصرار، والشدة والحدة، وعدم الانصياع... قد قيل إنّ الإرهاب مبدأ الحكم الاستبدادي. هل حكوماتكم لهذا السبب تشبه الاستبداد؟ نعم، مثلما السيف الذي يلمع في يد أبطال الحرية، يشبه ذلك الذي في يد جَلاوِزَة الطغيان».[1]

إنّ من ذهب إلى تبرير الفعل الإرهابي كوسيلة استنادًا إلى السعي لتحقيق غاية سامية، يغفل التبعة الأخلاقية أو الإثم الواقع جراء اقتراف العمل الإرهابي. إنّ اقتراف الفعل الخطأ أخلاقياً، حين يتم التضحية بأشخاص وإدخال الرعب على آخرين غيرهم، بدعوى انعدام وسيلة أخرى لتحقيق أهدافهم، يغفل حقيقة أنّ هناك دائما وسيلة أخرى أو أكثر، تحمل تبعة أخلاقية أخفّ.

والخلاصة أنّ الموقف هنا تتجاذبه مسألتان من الجانب الأخلاقي (سعي لتحقيق غاية سامية وتبعة الإضرار بالآخرين)، لذا؛ يجب على من يسعى لتبرير الفعل الإرهابي ضد غير المقاتلين، البرهنة على أنّ أسلوبه في استخدام العنف بصورة تعسفية ضد غير المقاتلين هو الطريق الأمثل على كلّ من يخالفه.[2]

---

(1) See: The Reign of Terror, (www.historwiz.com/terror.htm). On site of HistoryWiz for students, teachers and lovers of history. Copyright 1998-2008.
(2) EDEL, Abraham, " **Notes on Terrorism**", p.450, in: **Values in Conflict: Life, Liberty And The Rule Of Law**, LEISER, Burton M., New York, Macmillan Publishing Co. Ltd, 1981, p.478.

تأسيسًا على ما سبق، نرى من الضرورة التأكيد على أن يتم تحديد الإرهاب على أساس الأسلوب وليس الدافع، فحتى لو توفرت لمنفذي الإرهاب دوافع نبيلة كتحرير الأوطان - مثلاً- فإنّ الدوافع تشوهها الممارسات الإرهابية، وقد سعى الكثير من دول العالم الثالث دائمًا إلى إنكار أن حركات التحرر قد تقوم بأعمال إرهابية. في المقابل تنفي الكثير من الدول اتهامات محددة بالإرهاب، رغم أن العديد منها يمارس التعذيب بصورة روتينية، وهو نوع خاص من الإرهاب ضد الأفراد، ولكن يتم تبرير الإرهاب والتعذيب من ناحية عملية بحجة **"المصلحة العليا"**، رغم أنه لا يمكن تبرير أيٍّ من هذين المسلكين من ناحية أخلاقية.[1]

## ثالثاً: الخير الأسمى (The Summum Bonum)

الخير الأسمى تعبير لاتيني، يقصد به الغاية او الهدف النهائي الذي تؤسس عليه القيم وتحدد الألويات، أو الخير الأعظم الذي تنبع منه كل الخيرات الأخرى،[2] وقد شكلت فكرة الخير الأسمى حجر الزاوية والأساس لأهم المدارس والنظريات السياسية حيث ينطلق المفكرون والمنظرون من تعظيم قيمة معينة، وجعلها مدار فلسفتهم ومحورها، والمعلم المرشد لأفكارهم وأطروحاتهم، ففي اليونان القديم ورث الفيلسوف أفلاطون عن معلمه وأستاذه الفيلسوف سقراط القول المشهور: «**الفضيلة هي المعرفة**»، لتصبح المعرفة في نظره هي الخير الأعظم أو الأوحد، وتأسيسًا على تلك الفكرة أو الرؤية شرع أفلاطون

(1) BOOTH, Ken and DUNNA, Tim, **Worlds in Collision: Terror and The Future of Global Order**, Palgrave Macmillan, New York, 2002, First Edition, p.8.
(2) Merriam-Webster's Unabridged Dictionary, See:
- https://www.merriam-webster.com/dictionary/summum%20bonum

في بناء نظرته للمسألة السياسية أو السلطة السياسية، وهي الميدان المعني بالأساس بالعمل الإرهابي، فما دامت المعرفة هي الخير الأعظم، فإنّ من يتولى السلطة (الحاكم)، لا بد أن يكون صاحب معرفة ودراية واسعة، فهو في نظره الحاكم الفيلسوف، صاحب المعرفة والدراية الواسعة، وأمام تضخيم قيمة المعرفة لتصبح الخير الأوحد رخص أفلاطون لنفسه منح ذلك الحاكم الفيلسوف، سلطة مطلقة تسمو حتى على القانون، ولا يجوز مراجعته فيما يرتئي من شئون الحكم، فلا يحق لأحد من المحكومين الاعتراض على أحكامه، فسلطة المعرفة (الخير الأعظم)، جعلت منه المرجعية المطلقة، وكل ما يقوم به صلاح وحق، ويغفل أفلاطون بتلك النظرة كون الحاكم الفيلسوف ما هو إلا إنسان وبشر، وأنّه مهما أوتي من عقل وحكمة يبقى كائنًا يعتريه النقص والغفلة والضعف، ويتملكه الهوى. لذلك استدرك أرسطو على فكرة الحاكم الفيلسوف وسموه على القانون والمراجعة، بسبب تعذر تحقق النموذج المثالي للحاكم وأن كل إنسان تستهويه النزعات ويعتريه الضعف ولو كان صاحب معرفة، فيظل الإنسان إنساناً. وإمعانا في تلك النظرة قرر أفلاطون تصميم نظام تعليمي للشعب يتم على ضوئه ومن خلاله تحديد وظائف والمهام الأفراد المنوط بهم في المجتمع، فصارت المعرفة معياراً للتمايز والحكم على الأفراد في المجتمع، ويتم تصنيف الأفراد بحسب ترقيهم في السلم التعليمي، مادام التعليم هو الأداة والسبيل لاكتساب المعرفة.

أمّا التفكير المتطرف عندما يلجأ إلى العنف والتطرف والإرهاب اليوم فأنه يؤسس على اعتبار أنّ الخير الأعظم، يكمن في «**الحرية**» والقضاء على كل ظلم أو قهر يمارس عليه، وأن ما يحيط بالأمة من ضعف مرده لغياب «الحرية» أي الخير الأعظم، ويمكن ملاحظة ذلك الأمر بكل

جلاء في الخطاب المتطرف الأصولي الإرهابي، وترجع إرهاصات هذا الخطاب إلى كتابات أبو الأعلى المودودي، وسيد قطب التي استندت عليها التنظيمات الإرهابية في تبرير أعمالها الإرهابية خاصة فيما يتعلق بمفهوم الجهاد والعلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب، فكلاهما اعتبر أن «الحرية» هي الخير الأعظم، فهذه الكاتبة المتخصصة في التاريخ والعلاقات الدولية بمدرسة لندن للاقتصاد والحاملة لمؤهل في دراسات الإرهاب من مركز دراسات الإرهاب والعنف السياسي، بجامعة، سانت أندروس والمستشارة بالشئون الخارجية المتعلقة بالإرهاب، تشير إلى الدرجة العالية من الأتفاق بين أفكار سيد قطب ورموز وقيادات القاعدة أحد أعتى المنظمات المتطرفة في العالم العربي والإسلامي، وكيف شكل **مطلب الحرية** المحور الأساسي ليصبح الخير الأعظم، وليتحول الدين الإلهي من رسالة سماوية لإنقاذ الناس من عذاب الآخرة ويهديهم لمعرفة ربهم إلى دعوة سياسية تنشد الحرية، فالإسلام ليس مجرد عقيدة بل، كما يقول سيد قطب: «الإسلام إعلان تحرر العبد مع عبودية العباد»، ومن أجل بلوغ تلك الحرية، على المسلمين اللجوء إلى العنف، تحت مسمى الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه، الذي يتحول إلى نضال دائم مستمر، فتقول:

" الملمح الرئيس بين كلا من سيد قطب وفلسفة القاعدة يكمن في تشابه النظرة حول الجهاد. كلاهما سيد قطب وأسامة بن لادن يعتقد أن الجهاد نضال طويل الأمد، ولذلك لا يتوقعان نتيجة قريبة له، يقول سيد قطب: "إنّ مدى ذلك الجهاد لا حدود له على الأرض أو في هذه الحياة، والمراقبون لهذا الكفاح ليس مجرد جيل من الرجال"، في بداية العام 2002م، أكد سليمان عطاء المتحدث باسم بن لادن، على تلك الفكرة بالقول: "نحن نعتقد بأننا في بداية هذه الحرب...فإذا نحن قتلنا أو أسرنا

أو تمكن أعداء الله من تحقيق نصر واحد ... نحن لن ننسى أن هذا الطريق طويل وأنه الطريق الذي ينبغي على المسلم السير فيه إلى يوم الحساب"، أنّ القرآن يذكر صراحة: (لا أكراه في الدين). وذلك فيما يبدو تحريم شن الحرب ضد غير المسلمين لإجبارهم على اعتناق الإسلام بالقوة أو استخدام القوة ضد المسلمين المخالفين في المعتقدات. إنّ سيد قطب أيضاً ازدرى النظرة القائلة بأنّ الجهاد مشروع لأغراض دفاعية من أجل حماية الأمة. لقد اعتقد سيد قطب بأن المسلمين قادرون على الاستيلاء على السلطة الحاكمة. يقول سيد قطب: "الإسلام ليس مجرد عقيدة... الإسلام هو إعلان حرية من عبودية الإنسان للإنسان، وبالتالي فإنه يسعى من البداية لإزالة كل الأنظمة والحكومات التي تقوم على حكم الإنسان للإنسان"، في كتابه معالم على الطريق، ذكر صراحة بأنّ الأسباب المقبولة للقيام بالجهاد: " إقامة حاكمية الله على الأرض، وتنظيم الشئون الإنسانية للهداية الحقيقية التي منحها الله، لإزالة كل القوى الشيطانية والنظم الشيطانية من الحياة، وإنهاء سيادة بشر على بشر غيره، مادام كل البشر خلقهم الله تعالى، وليس لأحد السلطة لجعلهم عبيدًا له أو وضع قوانين تعسفية لهم، وتلك أسباب كافية لإعلان الجهاد"، ومع أنّ الجهاد الهجومي يعلن فقط من قبل الخلافة، ولكن بن لادن أعلن أن جهاد القاعدة جهاد دفاعي كرد فعل على هجمات الولايات المتحدة على العالم الإسلامي. ومع ذلك، فالعديد من الناس حول العالم مازالوا ينظرون لجهاد القاعدة على أنّه جهاد هجومي. وإذا افترض شخص ما بأنّ بن لادن يدعو فعلياً للجهاد الهجومي، فإنّ ذلك يمكن رؤيته فكرة قائمة ومستمدة من أيديولوجيا سيد قطب"[1].

---

(1) ALLEN, Lisa M., **The Philosophy of Sayyid Qutb Will Persist as Al Qaeda's Intellectual Heritager,** Counte Terrorist Trends and Analyses, Vol.3 , No.6, June 2011, pp.7-8.

أما بالنسبة لأبي الأعلى المودودي فإن التعلق بقيمة الحرية وجعلها المثل الأعلى والخير الأعظم كانت من النقاط الأساسية، حيث شكلت له مسألة **الحرية** تحولاً هاماً في مسيرة حياته، فقد ذكر في سيرته الشخصية، بأنه ولد بإيمان تقليدي ورثه من عائلته المتدينة والبيئة الإسلامية التقليدية المحيطة، غير أنه بعد وفاة ولده وهو بسن السادسة عشر، بدأ يتعرض للتأثيرات الفكرية الخارجية والتي شكلت الصدمة لإيمانه التقليدي، من خلال الدراسة الذاتية المتحمسة للقرآن الكريم والسنة النبوية، تمكن من إعادة اكتشاف الإسلام، ليكشف من خلال تلك الدراسة عن أعظم القيم الإنسانية وهي **الحرية**، يقول أبو الأعلى المودودي في سيرته:

"كان يجب عليّ أن أظل مقيداً بعبادة الأجداد. لكن الشيء الذي منعني من التملص من طريق الإلحاد، أو أي عبادة اجتماعية أخرى، وتحويلي مرة أخرى إلى الإسلام، كان الدراسة الذاتية للقرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أطلعني على القيمة الحقيقية للإنسانية. لقد عرفني ذلك بمفهوم **الحرية**، الذي كان يملأ خيال أكبر الليبراليين والثوريين، وذلك كشف لي عن خطة مجيدة للسلوك الفردي والعدالة الاجتماعية لم يسبق لي أن رأيتها". [1]

وفي ذات السياق يطرح المفكر الإسلامي وحيد الدين خان التساؤل التالي: ما هو الخير الاعظم أو الأسمى عمليًا؟ ليجيب بالقول:

(1) JAMEELAH, Maryam, **Modern Ideas and Concepts in the Works of Maulana Sayyid Abul A'la Mawduidi**, Islamic Studies, Vol.42, No.2, Summer 2003, p.348. (pp.347-352)

"الخير الأسمى لغةً يعني الخير الأعظم، فهو منتهى الغايات في حد ذاته. وفي الوقت نفسه يحمل في طياته كل الخيرات، فماهو الخير الأسمى عملياً؟ الناس لديهم آراء مختلفة حول هذا الأمر، فمعظم الناس يتمسكون بأن الحرية هي الخير الأعظم، ولكن الحرية لا يمكن وصفها بذلك، إن الخير الأسمى هو منفعة قصوى خالية من الآثار السلبية، غير أن المنفعة المرجوة من وراء السعي لنيل الحرية غير المدروس والمخطط له، يمكن أن ينجم عنه الفوضى. والفوضى تخلق مشاكل يتعذر حلها، وتصاحبها عراقيل تمنع وتصد كل أنواع النجاح نحو التطور والرقي المادي والروحي.[1]

معتبرًا أن **السلام** هو الخير الأسمى الحقيقي، فالسلام يعد خيرًا في جميع الظروف والأحوال. ومهما أختلفت السبل من أجل إحلال السلام، فالسلام يجلب الاستقرار ويعود بالأمور إلى طبيعتها (الحالة الطبيعية)، مما يسمح لكل أنواع التطور والتقدم بإيجاد موطئ لها ومكانا في حالات الاستقرار العادية، دون أن تكون له نتائج سلبية.

ثم يميز ما بين نوعان من السلام: السلام الفردي على المستوى الشخصي، والسلام المجتمعي، والسلام الفردي هو سلام العقل، وهو الأكثر أهمية لجميع الأفراد. والمقصود به حسن التدبير الفردي، ومن جهة أخرى فإن جلب السلام للمجتمع هو مسألة تتطلب اتخاذ إجراءات أو تدابير جماعية.

---

(1) KHAN, Wahiduddin, The age Of peace, Noida, Goodword Books, first Edition, 2015, pp. 13-14.

- الكتاب مترجم بالعربية ومتاح على الشبكة العنكبوتية، بعنوان: "عصر السلام".

مشيرًا إلى اخفاق العديد من القادة والمصلحين في تحقيق مجتمع السلام المثالي، بسبب ربطهم إحلال السلام بتحقيق العدالة ابتداءًا، فأدت مساعيهم إلى العنف بدلاً من السلام الاجتماعي. نتيجة لربطهم السلام الاجتماعي بشرط تحقيق العدالة الاجتماعية. فأولئك النشطاء الاجتماعيين ربطوا بين مفهوم السلام الاجتماعي والعدالة الاجتماعية. فطوروا نظرية مفادها أنه لا يمكن تحقيق السلام الاجتماعي إلا من خلال تحقيق العدالة الاجتماعية. لشعروهم بأنه يتوجب عليهم إقامة العدالة الاجتماعية، حينها ونتيجة لذلك سينشأ السلام الاجتماعي. وهو الأمر الذي يصعب تطبيقه عمليًا، ومستشهدًا بالسنن الكونية، وقد رأى إن دور السلام هو تهيئة أرضية مناسبة لكل الأنشطة المختلفة، وبالاستفادة من تلك الأرضية نستطيع تحقيق هدف العدالة. إن الدور الأساس للسلام هو تحقيق الحياة الطبيعية المستقرة، التي تكون مطلبًا أساسيًا لكل أنواع النجاح. لذلك يتوجب علينا في البدء إحلال السلام مهما كان الثمن. فالمشكلة تكمن في أن السلام الاجتماعي مسألة أحادية الجانب، ويوجد دائماً العديد من الجماعات التي تشكل المجتمع، وعليها أن تقبل خطة سلام، وعندها يمكن بالفعل إحلال السلام. عبر القبول بالأمر القائم، والعمل في ظل الوضعية القائمة، تلك هي الصيغة القابلة للتطبيق على المستوى الجماعي، وسبيل فتح ابواب الفرص التي تتطلب التأهب لاقتناصها، من أجل تحقيق العدالة، وعَبَّر عن ذلك بالقول: "عند الرغبة في إقامة السلام الفردي تؤخذ المثالية بعين الاعتبار، بينما تراعى الواقعية عند الرغبة في إقامة السلام الاجتماعي".[1]

(1) Ibid, p. 15.

# الفصل الثاني

# الإرهاب بين الأصولية والتعصب والتطرف

يتناول هذا الفصل جذور ظاهرة الإرهاب، فهو يبحث في الخلفيات والدوافع الكامنة وراء الظاهرة الإرهابية، الأمر الذي لم يتم بحثه بالقدر الكافي رغم كثرة ما كتب عن الإرهاب في اللغة العربية، حيث ينصب الاهتمام في الغالب على الجذور التاريخية بطريقة سردية دون تحليل وفهم للدوافع والمنطلقات خاصة الثقافية والدينية منها، ويؤكد هذا الفصل على أن هناك أمراضًا تولّد عنها القيام بالعمل الإرهابي لم تسلم منها الثقافات ولا الأديان جميعها كالتعصب وتزكية الذات وازدراء الآخر وغير ذلك، ويؤكد على ضرورة لزوم الاعتدال والقصد في الأفعال وفي ردود الأفعال من قبل كل الأطراف. وهو مقسم لثلاث مباحث، وهي: **(المبحث الأول: الإرهاب والتعصب)**، و**(المبحث الثاني: الإرهاب والأصولية)**، و**(المبحث الثالث: الأصولية والتطرف)**.

## المبحث الأوّل

## الإرهاب والتعصب

التعصب، هو الانحياز أو التحيّز لفكرة أو معتقد ما (ضدّ أو مع)، والانحياز يعني التعصب، باعتماد وجهة نظر واحدة، وفقدان الحيادية

والانغلاق في التفكير.[1] ويمكن للمرء الانحياز مع أو ضد أفراد، أو عرقية، أو دين، أو طبقة اجتماعية أو حزب سياسي. وهو موازي للتعصب والتزمت والعنصرية. فالتعصب ضد شيء ما هو مقاومته وقد يمتزج الأمران (مع أو ضدّ) في فعل التعصّب الذي يتجلّى فيه التهوّر والتحمّس والعنف معاً.

إنّ كلا النوعين من التعصب قد مورس، فإن كان النوع الأول التعصب (مع) قد مارسه مرتكبو الفعل الإرهابي، أصحاب النظرة السلبية إلى الغير، الناظرة بعين الاحتقار والازدراء للغير مغفلة كلّ القيم الإنسانية، ومتعمدة إلحاق الضرر بالآخرين، لتحقيق مكاسب ومنافع معيّنة، فإنّه في المقابل ينشأ التعصّب (ضدّ) الإرهاب، حين يتمّ تبني مواقف شديدة التعصب ضدّ ممارسي العمل الإرهابي، تتحول إلى حماس مفرط ومتهوّر في مواجهة مرتكبي الفعل الإرهابي، ويتمّ الإفراط في استخدام العنف تحت غلبة شعور الاحتقار والازدراء والتحامل.

والذي يدعو للأسف أنّ كلا المسلكين ينجم عنهما مزيدٌ من العنف والعنف المضاد، ممّا يؤدّي إلى تعقيد المشكلة وليس حلّها، فالمعالجة المفرطة في استخدام العنف – مثلا- التي تبنتها بعض الأطراف في مواجهة الإرهاب كان لها العديد من الآثار السلبيّة على جهود مكافحة الإرهاب، فزادت من حدّة الأفعال الإرهابية ومن عدد المتعاطفين معها، وتُعدّ المعالجتين المفرطتين الأمنية داخليًا والعسكرية خارجيًا خير دليل على ذلك.

(1) The New Merriam–Webster Dictionary, See: (Bias).

إنّ التعصّب بوصفه شعورًا داخليًا يجعل المرء يرى نفسه على حقٍّ، ويرى الآخرين على باطل، ويدفع المرء لتبني مواقف وممارسات تنطوي على احتقار الغير وعدم الاعتراف بحقوقهم وإنسانيتهم.

ويظهر من خلال البحث إنّ أحد أهم الأسباب لاستفحال ظاهرة الإرهاب هو التعصب بدوافع دينية أو سياسية أو طبقية...الخ. فالتعصّب والإفراط فيه إزاء التعامل مع ظاهرة الإرهاب، سواء أكان التعصب ضدّ أو مع الفعل الإرهابي، ومما يُصَعِّبُ مهمّة معالجة ومكافحة الظاهرة الإرهابية. وقد كان الفيلسوف فرانسوا ماري أرويه المعروف باسم فولتير (بالفرنسية Voltaire) يكره التعصب الديني ويحاربه وكتب في التنبيه على خطورة التعصب مبينًا أن هناك سبيلاً وحيداً لعلاجه هو "الروح الفلسفية"، قائلاً:

" إن التعصّب هوسٌ دينيٌّ فظيعٌ، مرضٌ معدٍ يُصيب العقل كالجدري وهؤلاء المتعصّبون قضاة ذوو أعصاب باردة يحكمون بالإعدام على الأبرياء الذين لم يفكّروا بنفس طريقتهم، ولا يُوجد علاج لهذا الداء المعدي إلا الرّوح الفلسفيّة التي بانتشارها شيئا فشيئا تتهذب أخلاق البشر وتتحاشى التطرّف، وليس القوانين ولا الدّين بكافيين لمكافحة هذا الطاعون الذي يصيب النفوس، فالدّين لا يعتبر دواء شافياً بل يتحوّل إلى سمٍّ ناقع في الرؤوس المصابة بالتعصب، والقوانين عاجزة كلّ العجز أمام المتعصبين فهم مقتنعون أنّ روح القدس تتمثل فيهم، وهم فوق القوانين وليس من قانون إلاّ من حماسهم وتهورهم، فما الذي يمكن قوله لشخص هو على يقين من دخول الجنة حين يقتلك ويقتلني"[1].

(1) زيادة، معن، **الموسوعة الفلسفية العربية**، بيروت، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، المصطلحات والمفاهيم، 1986، ط1، ص 282.

إنّ النصّ السابق يعكس بصورة دقيقة، روح التعصّب التي نمت في نفوس فئة من النّاس باسم الدّين الإلهي، وهو ما ظهر لنا جليًّا في سلوك منفذي عملية الهجوم على برجي التجارة ومبنى البنتاغون في الولايات المتحدة الأمريكية، تلك الفئة التي عرفت باسم (تنظيم القاعدة) حتى تجرأوا على نسبة أفعالهم للذات الإلهية الربانية (حكم الله) أو (عذاب الله)، معتبرين أنّ أفعالهم في مصافّ أعمال الجهاد في سبيل الله، بل هي الجهاد عينه، فرأوا في قتل الأبرياء قربة لله تعالى، ومع ذلك فإننا في المقابل نجد الاستجابة المفرطة تجاه تلك الأعمال الإجرامية، لا تعفي أصحابها من الوقوع في فخّ التعصّب نفسه.

إذا كانت سمات التعصّب هي اللجوء للردّ المفرط المتحمّس والعنف في كثير من الأحيان لتحقيق الغاية، ويكون ذلك الردّ مبني على الجمود في التفكير والتمركز حول الذات وعدم تقبل الحوار، فلا شكّ أنّ كلا الطرفين يحظى بنصيب كبير من هذه السمات.[1]

ويغّذي شعور التعصب عوامل مختلفة، قد تكون فردية مرتبطة بتكوين وتنشئة الفرد، أو ناتجة عن محيط الفرد الاجتماعي والاقتصادي، وفكريّة عندما يسيطر على البعض الشعور بتملك المعرفة المطلقة المبني على الفهم السقيم. فالتعصّب يولّد لدى المرء الشعور بالعدوانية تجاه الآخرين، فهو مغذٍّ للسلوك العدائي، وينبع من نفسية غير متزنة، سيطرت عليها الدوافع السلبية، عبرت عن نفسها في سلوك ردّ فعل على الآخر، الذي قد يرى فيه مكمن الفشل وسبب التأخر، كالشعور المتولّد ضدّ تفوّق الآخر وهيمنته.

(1) See: < www.ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B9%B8%B5%A8>

والعقلية المتعصّبة ترفض في كلّ الأحوال الاعتراف بالخطأ، وتنكفئ على الذات، فالمتعصّب تسيطر عليه نفسية الكِبْر، فلا يعرف للغير حقوقاً وليس لديه إزاءهم إلا الاحتقار والانتقاص، ويعبّر عنه الإنسان المسلوب والضعيف الممتلئ بشعور الخسارة، بلسان حال يقول أنا من سلب منه الآخرون كلّ شيء، فهو عندما يتوجّه إليهم لسان حاله يقول أعيدوا إليّ ما سلبتموه كـ(المجد التاريخي التَّلِيد، دولة الخلافة الإسلامية...الخ)، ومثل هذه النفسية نلاحظها بوضوح في الخطاب الإسلامي المعاصر لكثير من الحركات الإسلامية، كخطابات وتسجيلات أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، التي تنطق بلسان حال شخصية امتلأت كراهية على الغرب، لا سيّما الولايات المتحدة الأمريكية، محمّلة إيّاها كلّ الوزر فيما حلّ بالعالم الإسلامي، وداعية لاستخدام كافّة الوسائل العنيفة للانتقام والاقتصاص من الولايات المتحدة الأمريكية، نظير ما قامت به من أعمال ضدّ العرب والمسلمين.

وجميع الأطراف عرضة للوقوع في فخ التعصب خاصة عندما يتملّك الإحساس بالخسارة أو باستهداف الغير له، أو حتى المساس بالمكانة والهيبة، لتترجم تلك الأحاسيس والمشاعر لدى البعض لرد فعل جد عنيف.[1]

---

(1) كما صرح بيل موير (Bill Moyer)، كاتب ومحلل سياسي، في حديثه الإذاعي مع مارك دانير، في 16 - 11 - 2009م، برنامج بعنوان: اكتشاف الجانب المظلم في الولايات المتحدة، أحاديث ومقابلات مميزة، انظر:
“Great Speeches and Interviews: “**Explore the dark side of United States**” at: (www.archive.org).

جاء في تقرير **الغرب والعالم الإسلامي- نظرة إسلامية**، لمجموعة من الباحثين المسلمين، والصادر عن معهد العلاقات الخارجية في شتوتغارت بألمانيا، النص التالي:

" لقد نشأت إحدى عناصر النزاع بين العالمين الإسلامي والغربي من ثنائية الذهنيات بين المتعصبين والتنويريين على الجانبين. إنّ الصراع الذي يخوضه التعصب والعقلنة لا يقتصر على العالم الإسلامي، بل يوجد في أغلب الأديان. ونجد أنّ عدم التسامح الذي تمثله الحركات الإسلامية الأصولية يتوازى مع تعصبٍ مماثل لدى الكنائس الأصولية في الولايات المتحدة أو المتطرفين اليهود داخل إسرائيل وخارجها. ويمكننا أن نشهد اليوم كيف تؤثّر المواقف الدينية الدوغمائية[1] على العلاقات الدوليّة. كما نلاحظ أيضاً كيف تؤدّي هذه المواقف إلى تأجيج الكراهية بين الأديان والناس داخل الأمة الواحدة وعلى الصعيد العالمي بين شعوب العالم، ويصعب كبح جماح هذه المشاعر الحاقدة مادامت تضمّ شكلاً من أشكال الرفض المطلق للآخر، حيث يجري النظر إلى الآخر بوصفه عدوّاً ينبغي القضاء عليه. إنها مشكلة خطيرة توجد في المجتمعات الإسلامية والغربية على السواء".[2]

---

(1) كلمة دغما في أصلها اليوناني استخدمت بمعنيين: قرار سلطوي أو آراء لطائفة أو مدرسة فلسفية معينة، في علم الأديان المسيحي صارت في أغلب الأحيان مصطلحاً فنياً لتلك العقائد الرسمية التي تعتقد الكنيسة أنها تعبر عن الوحي الإلهي، التي يخضع لها أغلب المسيحيين الأرثودوكس. انظر:
LYSTAD, Robert A., **Encyclopedia Americana**, New York, 1979, Vol.9, p.251.

(2) KUHNERT, Barbara & WARNDORF, Susanne, **The West and the Muslim world : A Muslim Position**, Berlin, ifa, 2004, p.108.

من خلال الاقتباس السابق تظهر لنا النتائج السلبية لعقلية التعصّب في تلغيم العلاقات بين الدول والشعوب والأمم في الداخل والخارج، كما تشير لدور الفكر الأصولي في نشر روح العداوة والكراهية، وهو ما سنعرض له في المبحث التالي.

## المبحث الثاني

# الإرهاب والأصولية

شكّل الفكر الأصولي[1] أو الإحيائي قطيعة مع فكر العصر في كثير من الأحيان، وكانت دوافعه تنبع من الشعور بالاغتراب عن الواقع المعاصر الذي تعيشه جماعة أو طائفة ما لها تاريخ حضاري تمت فيه الغلبة الحضارية أو الظهور السياسي لتلك الجماعة، مقابل حالة الضعف أو الاستضعاف التي تحياها، ورغم المقولة الشهيرة للعلامة ابن خلدون بأنّ المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب[2]، إلّا أنّ فشل النموذج العصري

(1) **الأصولية (Fundamentalism)**: تعني في العموم أو في المعنى اللفظي العودة للأصول أو الالتصاق بالأصول، الدينية في الغالب ، وهي صفة عامة بين معظم أصحاب الديانات فهناك الأصولية اليهودية والمسيحية وحتى الهندوكية..الخ ، ولكن من ضمن ما يمكن وصف الفكر الأصولي به أو الأصولية هو تبني نمط التعاليم الخاصة لتكون المبادئ الأساسية أو أسس الديانة أو المعتقد وبالتالي تطلق حركة عنف لإقامة ما أدعت أنه التعاليم الأساسية.

(2) أطلق ابن خلدون هذه العبارة في كتابه المقدمة، وقد اشتهرت هذه العبارة ونقلت في عشرات المراجع والكتب والدراسات العلمية، غير أنه لا يمكن حمل العبارة على الإطلاق، ولذا يقيدها البعض بفكرة القابلية والاستعداد الداخلي للمغلوب، كما ذهب مالك بن نبي في كتابه القابلية للاستعمار. غير أن التفسير الصحيح من وجهة نظرنا أن معنى الغلبة هنا هي الغلبة الحضارية التي يتولد عنها انبهار المغلوب وليس الغلبة العسكرية وحدها، وهوما يفسر حالة التحول في توجه نفسية الناس تجاه الآخر من الانبهار إلى الرفض أو التشكيك.

في تحقيق النهضة وبعث الأمة، هو السبيل لرواج الأفكار الأصولية أو الاسترجاعية كما ذهب عبد الوهاب المسيري في كتابه "الأيديولوجية الصهيونية".[1]

نجد داخل كلّ أمة أو شعب صراعًا بين تيارين رئيسين: تيار يدعو إلى تبني القيم العصرية وربما الانسلاخ من المورث، الذي لا يتلاءم وواقع الأمة والتحديات الجديدة، وآخر على النقيض من ذلك يدعو إلى التمسك بمورث الأمة في مواجهة الواقع ويصل إلى حدّ التنكر لكلّ القيم المعاصرة، فهو ينشد عصرًا ذهبيًا موغلاً في التاريخ ويدّعي أنّ الخلف لن يصلحوا إلا بما صلح به السلف.

وهذه الثنائية (المعاصرة والأصولية) لم تسلم منها أمة أو شعب على مرّ الزمان، ما جعل البعض يرى أنّ الصراع الحقيقي ليس بين الحضارات بل بين مكونات الأمة الواحدة، وينشأ عن هذا الاختلاف والتباين في التوجه عداوة شديدة بين أبناء الأمة الواحدة.[2] ولم يكن عالمنا العربي استثناء من هذه الثنائية، فهناك دائمًا صراع علنيٌّ أو خفيٌّ، نشطٌ أو راكدٌ، بين دعاة المعاصرة أو ما يعرف بالتيار الحداثي أو العصراني وبين التيار التقليدي أو الأصولي.

---

أنظر: (ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 2000، د.ط.، ص101).

(1) المسيري، عبد الوهاب، الأيديولوجية الصهيونية: دراسة في علم اجتماع المعرفة (القسم الأول)، الكويت، سلسلة شهرية عالم المعرفة، ديسمبر 1982م.

(2) صرح الكثير من الكتاب والمثقفين والأكاديميين، بعدم قناعتهم، بحقيقة الصراع بين الحضارات وأن الصراع داخل الحضارة الواحدة وعلى حسب تعبير فؤاد زكريا: (أنا لا أومن بالصراع بين الحضارات بل داخل الحضارات)، في حديث لبرنامج «Great Speech 2008 »م، عن كتابه "**عالم ما بعد أمريكا**» ، انظر الرابط التالي:
“The Post-America World- Fareed Zakaria”. At : < www.archive.org>

شهد العالم العربي بعد نكسة 1967م، عودة للفكر الإحيائي أو الاسترجاعي الذي مثلتهُ التيارات الإسلامية في العالم العربي بعد فشل النموذج القومي العربي الناصري، الداعي لتبني قيم الفكر القومي والحداثة، وما تبعه من فشل في الكثير من الدول بالمنطقة في السعي لتطبيق نموذج العصرنة.

وكرد فعل على ذلك الإخفاق والشعور بالغربة والقطيعة مع العصر،[1] ظهرت لدينا الكثير من الحركات الأصولية، وسادت لغة الخطاب العربي الدعوة للعودة إلى الماضي والانغلاق على أساس الدّين الموِرث لا الدين السماوي، ورفضت القيم العصرية باعتبارها منافية ومخالفة لتعاليم الدين الحنيف، وقوي هذا الرفض في ظل العالم الذي نحياه القائم على القيم الغربية، كالإباحية والمادية، والافتقار للقيم الأخلاقية والروحية، ونتج عن هذا تعاظم حالة الرفض والعداء بين المسلمين والأمم الغربية المجسدة للقيم العصرية، وتنامي القيم السلبية كالتعصب والكراهية والانغلاق والعداوة للآخر، وهذا ما عزّز فرص تنامي وانتشار الأفكار العدائية وعلى رأسها الفكر الإرهابي، وولّد التعاطف لصالحها، خاصة إذا تمّ قولبة هذا الفكر وتسويقه في ضوء الموِرث الثقافي والديني.

---

(1) لا يعنى التركيز السابق على عامل الإخفاق أو الشعور بالغربة، أنه العامل الوحيد في انتشار الفكر الاسترجاعي، بل هناك عوامل أخرى بلا شك منها نمو الوعي على أساس التراث والدين الموِرث، أو الانبهار بالنموذج الحضاري للأمة..الخ، ولكن التركيز هنا مردّه إلى ارتباط نمو التيار الاسترجاعي بشكل مباشر بحالة الفشل والإخفاق والبحث عن الذات بعد فشل النموذج الناصري أو المشروع القومي في العالم العربي، ولم نر نفس الأمر يحصل مع النموذج الأتاتوركي، أو البورقيبي. ولمزيد من التفصيل، يُنظر:
ABUSOUK, Ahmed Ibrahim, **Globalization and Muslim Identity Challenges and prospects**, July 2006, available at: <www.identites.org.pk/readings/Globalistion_Muslim_ID.pdf>

إذن مادام الغرب يقيم نظاماً مادياً غير عادل وغير أخلاقي، صار لزاماً علينا مواجهته والدعوة لإنكار كل قيمه، بوصفها تمثل النقيض لقيمنا وتاريخنا. تلك هي النظرة الضيقة والمغلقة التي تُعَدُّ منطلقًا لكثير من التوجهات في عالمنا العربي والإسلامي المعاصر، بمسمى الدين والأخلاق وغيرهما.

والذي يدعو للأسف أننا أصبحنا في كثير من الأحيان لا نرى في العالم الغربي إلا كمًّا هائلاً من السلبيات والنقائص، رغم ما يتمتع به من قيم إيجابية وأخلاقية، كاحترام الكرامة الإنسانية وتقديس حقوق المواطنين، واحترام الملكية الخاصة، وتقييد السلطات وفصل القضاء وتعزيز أنظمة الخدمة الاجتماعية والصحية والتعليمية.

وقد زاد من تعزيز تلك النظرة في عالمنا المعاصر أصحاب دعوات الصراع والصدام مع الآخر، أي مع الأمم والشعوب غير الإسلامية، كما هو موجود في خطاب العديد من القيادات في ميدان العمل الإسلامي، فتحت عنوان: «**حتمية صراع الحضارات**» تنشر مؤسسة الخلافة،[1] دراسة تؤكد على أنّ صراع الحضارات أمر حتمي، موجود في الماضي والحاضر ومستمر إلى قيام الساعة، وأنّ الدعوة للحوار بين الحضارات هو تخاذل ووضع للرؤوس في الرمال وهزيمة وخزي، ويجب الإعداد للصراع ما دامت الحضارة الرأسمالية الغربية هي الغالبة عسكرياً

(1) **مؤسسة الخلافة**: تابعة لحزب التحرير الإسلامي، الذي تأسس عام 1953م، وكان من أولى غاياته إعادة دولة الخلافة الإسلامية إلى الوجود حتى يعود الحكم بما أنزل الله، لمزيد من التفصيل انظر موقع الحزب على شبكة المعلومات:
(www.hizb-ut-tahrir.org/index.php/AR/def).

واقتصادياً وسياسياً، وليس عقائدياً لأن العقيدة يصعب هزيمتها،[1] وقد عززت هذه الرؤية بإسهامات فكرية وسياسات فعلية من الجانب الغربي:

**أولاً: فكرياً**، كما فعل بعض مفكري الحضارة الغربية، فهذا الكاتب صاموئيل هانتنجتون الذي بلغت شهرته عنان السماء يقدم إطاراً تفسيرياً للحضارات العالمية بأنها في تصادم وصراع، ففي كتابه صراع الحضارات، جعل العلاقة بين الإسلام والغرب علاقة عدائية، بينما ذلك لا يعكس حقيقة العلاقة في الإجمال، وإنما يصدق فقط على ما يسميه أحد الكتاب الأمريكيين صراع بين النموذج الأمريكي الساعي للهيمنة المدعوم بالقيم الأصولية المسيحية وبين النموذج الجهادي، أي الجهاد ضد عالم ماك على حد وصفه،[2] وذلك ليس بصراع حضارات بقدر ما هو صراع بين رؤى سياسية، تنبع من نطاق ثقافي ضيق ولا ترقى إلى درجة الصراع الحضاري، وهو الأمر الذي وضّحه بجلاء "**باسم طيبي**" في كتابه "**الإسلام بين الثقافة والسياسة**"، حيث كتب تحت عنوان جانبي: (الإسلام: اتحاد حضاري واختلاف ثقافي)، بأن الثقافة محلية والحضارات هي تجمع لثقافات، حيث نجد داخل الحضارة الواحدة بوتقة من الثقافات، فهناك مثلا ثقافة مسلمي الهند تختلف عن ثقافة مسلمي السنغال، ولكن تجمعهم الحضارة الإسلامية معًا، وما الصراع العرقي كما الحال في أفغانستان إلاّ لاختلاف العرق والثقافة، مع كونهم

---

(1) **The Inevitability of the Clash of Civilisation**, London, Al-Khilafah Publications, May 2002, p.62.

(2) BARBER, Benjamin R., "**Democracy and Terror in the Era of Jihad vs. Mc World**", p.245, in**: World of Collision: Terror and Future of Global Order**, BOOTH, Ken and DUNNE Tim, UK, Palgrave, 2002, p.375.

يتحدون تحت السقف الحضاري الواحد في مواجهة الخارجي (الاتحاد السوفيتي).[1]

إنّ الصراع أن وجد فهو ليس بين الإسلام كحضارة والغرب كحضارة أخرى، بل إنه صراع بين الأصولية الجهادية والأصولية المسيحية والرأسمالية، كلاهما بوصفهما مشروعين ورؤيتين سياسيتين، إنه صراع سياسي بين نموذجين مُسَيَّسَيْن، إنه صراع بين عالم ماك[2] والجهاد الإسلامي، وإن كان يبدو لدى البعض بأنه حرب باردة جديدة بين العلمانية والتوجه الديني، إلا أن العمل على جعل العالم على نموذج عالم ماك لن يعزى له إزالة الفوارق بين الإسلام والغرب، ولا يؤسس لأرضية السلام، إن الخلاف الذي نرصده اليوم هو ناجم عن اختلاف النظرة بين الجانبين وتسييس الخلافات في نظرة كلٍّ منهما للعالم حيث لعب ظهور الأفكار الأصولية الدينية والاقتناع بها والعمل انطلاقًا منها إلى اقتراف الكثير من الأخطاء، وهذا الخلاف هو ما يجعل الناس يشعرون بالعدوانية لانتمائهم لهوية مغايرة.[3]

**ثانياً: سياسياً**، في السلوك السياسي للإدارة الأمريكية وتبني سياسات تعزّز روح العداوة وتناصر قيم الصراع، فالكثير من سياسات الإدارة الأمريكية من أقوال وأفعال تشجّع على نمو النظرة العدوانية للغرب، وعلى وجه الخصوص سلوك الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس بوش الابن، كغزو أفغانستان والعراق، وشنّ حرب مفتوحة بلا حدود على

(1) TIBI, Bassam, **Islam between Culture and Politics**, New York, Palgrave, 2001, p.219.

(2) عالم ماك: يشير «عالم ماك» إلى العولمة واقتصاد السوق الحر، إي النموذج الغربي الرأسمالي، كقوة موحدة عالميًا، مدفوعة بالرغبة في الأسواق والسلع الاستهلاكية، باختصار، «عالم ماك» هو مصطلح يستخدم للإشارة إلى العولمة وتأثيرها على العالم.

(3) TIBI, Bassam, **Islam between Culture and Politics**, New York, Palgrave, 2001, p.220-222.

الإرهاب، استخدمت فيها جميع الوسائل بلا حدود من الاعتقال التعسفي إلى التعذيب...الخ.

ويمكننا تصوّر مدى تأثير ذلك على الجماعات الأصولية في ظلّ الصورة والنظرة المشكّلة في الذاكرة عن الولايات المتحدة، بوصفها قوى مهيمنة على العالم، تتدخل وترسم جلّ شئونه، وتقف بالضدّ من التغير وتحافظ على الأنظمة الاستبدادية والفاشلة وتقدّم لها الدعم الكافي للبقاء والسيطرة في دولها، مما يقف عقبة أمام تلك الجماعات ورغبتها في تغير الأنظمة المحلية، وإقامة النظم البديلة التي تدعو إليها تلك الجماعات ذات التوجهات الثورية الإسلامية، يقول الأكاديميان إريك نيوماير وتوماس بلمبر في مقالة بعنوان: «**الإرهاب الدولي وصراع الحضارات**»:

«إذا دعمت حكومة خارجية وعملت على استقرار حكومة في موطن الإرهابيين، وهذا الدعم يأخذ شكلاً – من بين أشكال أخرى- كالتحالف العسكري، والتدخل العسكري في الحروب الأهلية، وتزويد السلاح والمساعدة الاقتصادية. في الحقيقة بعض الحكومات تحيا فقط على المساعدة الخارجية، في مثل هذه الحالات، دعم القوى الخارجية وليس القوى المحلية هو الذي يمنع القادة الإرهابيين من بلوغ غاياتهم، كلما اعتمدت الحكومة المحلية على الدعم الخارجي صارت القوى الأجنبية عقبة للقادة الإرهابيين، وإذا هاجم الإرهابيون القوى الأجنبية لإجبارها على تقليص دعمها للحكومة التي يرغب الإرهابيون في السيطرة عليها، عند ذلك يكونون قريبين من هدفهم الاستراتيجي".[1]

(1) NEUMAYER, Eric & PLUMPER Thomas, **International terrorism and the clash of civilizations**, London, LSE, October 2010, p.14. Available at: (www.eprints.lse.ac.uk/20414/).

إنّ هذا الترويج الفكري لمزاعم أو خرافات الصراع الحضاري والخطر الإسلامي في الغالب نتاج لكفاح سياسي مرير داخلياً وخارجياً، وجزء من بضاعة كلامية للنضال السياسي وظفت من الجانبين الراغبين في البقاء في السلطة أو السَّاعِيَيْن لها، وستظل هذه المزاعم قائمة، مادامت تمنح الشرعية وتحشد الإمكانات وتُكَمّم الأفواه.

على الرغم من حقيقة أنّ وهم حتمية المواجهة بين الحضارتين الإسلامية والغرب يمكن كشف زيفها، لكنها ما زالت شائعة لدى المسلمين، ويتم توظيفها من قبل الإسلاميين (الأصوليين)، لإسباغ الشرعية على قضاياهم.[1]

## المبحث الثالث

# الأصولية والتطرف

إنّ الظاهرة الأصولية ليست مقتصرة على دين ما، فالتطرف أو المغالاة لصيق بكل دين أو معتقد، مادام الإنسان هو المتلقي والمجسد للفكر الديني، فلا الإسلام ولا غيره من الأديان يحتكر الظاهرة الأصولية، فنحن نجد أن الظاهرة الأصولية لصيقة بالإسلام والمسيحية واليهودية وباقي الأديان الأخرى على السواء.

وإن كان الإرهاب السياسي أكثر صيغ التطرف مغالاة، فإنه قد مورس من أتباع جميع الديانات والمعتقدات، كالقتلة المناهضين للإجهاض في

(1) ABOOTALEBI, Ali Reza, **Islam and Democracy: State-Society Relations in Developing Countries**, 1980-1994, New York, Garland, 2000, p.62.

الولايات المتحدة الأمريكية وأعمال الكاهانية في إسرائيل(Kahanism)، أوهجمات المتطرفين من الهندوس على المسلمين في الهند.

كما يمارس المتطرفون في كلّ مكان، الضغوط على الحكومات العلمانية كالولايات المتحدة وأوروبا وآسيا. وإن القوة والتأثير اللذين يتركهما التطرف الإسلامي يحققان تقدمًّا على ما يبدو على امتداد العالم الإسلامي،[1] أو ربما يبدو ذلك بسبب التضخيم الإعلامي الذي يلعب دورًا أساسيًّا في ربط الإسلام بالتطرف، ومحاولة ربط أي عمل عدواني يصدر من أتباع الدين الإسلامي، بأنه عمل متطرف ومنبعه دين مرتكبه، حتى ولو كان من قام به هو شخص غير متدين.

ونظرًا للعلاقة الكبيرة والمباشرة بين الفكر الأصولي والتطرف، يحدث في كثير من الأحيان استخدامهما كمترادفين، ففي وسائل الإعلام مثلا، يطلق لفظ التطرف على الأصولية، باعتبار أنّ الفكر الأصولي فكر إقصائي ومنغلق تجاه المخالف أو الآخر.

إنّ رسالة الأديان السماوية الثلاثة (الإسلام – المسيحية – اليهودية)، جاءت بالضد من الفكر الأصولي والتطرف؛ فتلك الأديان تقوم في جوهرها على التفاهم والحبّ والتسامح، والشفقة على الجنس البشري، وتعترف بقداسة النفس البشرية وتعظم حرمة المساس بها، إلا أنّ التفكير الأصولي لدى العديد من أتباع الديانات السماوية الثلاث اليوم يأتي بالضدّ من هذه القيم الأساسية والسّامية، مما يجعل ظاهرة الأصولية ظاهرة متطرفة، وفي هذا المعنى يقول (Tom O’Golo) مستنكرًا

(1) LAQUEUR, Walter, **The Origins of Fascism: Islamic fascism, Islamophobia, anti-Semitism**, Oxford University Press, 25.10.2006, See: (www.laqueur.net/print.php?r=2&rr=4&id=49).

استخدام العنف والتطرف من جانب الأصوليين لمخالفته لحقيقة وجوهر الرسالات السماوية:

"إنّ الأصولي الحقيقي هو أيضا العائد للأصول، شخص يسعى للحصول على أصل المسألة. نقطة الضعف الرئيسة مع كثير أو ربما معظم المتطرفين ليس لأنهم حفروا، ولكن لم يكن الحفر عميق بما فيه الكفاية. وبناءً عليه فالعديد من الأصوليين في نهاية المطاف انبروا ليدافعوا عن معتقدات ليست حقيقية في صميم عقائدهم. على سبيل المثال إنّ أيّ أصولي متدين يؤذي الآخرين على خلفية أصوليته يكون مخالفاً، لأنه لا يوجد أبدًا دين حقيقي قدم أيّ شيء سوى الحبّ والتسامح والتفاهم. فعبارة «**لا تقتل**» في صميم كلّ العقائد الحقيقية، خاصة الأديان الثلاثة المنسوبة لإبراهيم والله، تلك الثلاثية بالكامل تشجب الإيذاء العمدي للآخرين (وللنفس أيضا)، لأي سبب كان»[1].

والمأزق الأصولي لم يسلم منه حتى أتباع الديانات السماوية الأخرى كما ذكرنا، فالتوجه الأصولي، لدى الديانتين المسيحية واليهودية، ساهم في استفحال العنف والعداوة والتحيّز بين الشعوب والدول، مما نجم عنه اتساع رقعة العمل الإرهابي، حينما تسلّح أمثال هؤلاء بأفكار دينية توراتية في وضع سياستهم ورسم إستراتيجيتهم ومنها استراتيجيات مكافحة الإرهاب.

يذهب العديد من الباحثين إلى أنّ السياسات الأمريكية الخارجية في الشرق الأوسط منحازة بالكامل للدولة العبرية (إسرائيل)، وهذا الانحياز

(1) O'GOLO, Tom, **Christ? No! Jesus? Yes!: A radical reappraisal of a very important life**, Zimbo Press, 2011, p.105.

نجد مردّه في كثير من الأحيان لاعتبارات دينية بحتة لدى أتباع ما عرف بالمسيحية الصهيونية، ليكون هذا الانحياز سببًا رئيسيًا في تكوين صورة سيئة عن الولايات المتحدة الأمريكية لدى شعوب المنطقة والعالم، فقد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تقدم الدعم غير المحدود لذلك الكيان الغريب عن المنطقة، والذي قام على تشريد الشعب الفلسطيني، ممّا ولّد لدى الكثيرين روح الامتعاض والنقمة على الولايات المتحدة في العالمين العربي والإسلامي، وذلك بلا شك يلعب دوراً أساسيًّا في نمو الفكر الأصولي لدى العرب والمسلمين، كما تسهم سياسات خاطئة أخرى للإدارة الأمريكية في ذلك كدعمها للأنظمة المستبدة وغيرها من الممارسات التي تولّد عنها الشعور بالظلم والازدراء.[1]

لذلك يعتبر الكثيرون أنّ الولايات المتحدة بسلوكها المنحاز للكيان الصهيوني، تهدف للقضاء على العالم العربي والإسلامي، بل أسس بعض الدعاة موقفه المعادي للولايات المتحدة ودعوته لمحاربتها واستهدافها بكلّ الوسائل على أساس أنّها دولة معتدية ومنحازة للاحتلال الإسرائيلي لأراضي العرب والمسلمين (بيت المقدس)، ولعلّ أبرز هؤلاء زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، فالفكرة المركزية في خطاباته أنّه ساعٍ في ردّ الهجمة الغربية المسيحية الصهيونية على العالم العربي والإسلامي.

إنّ السبب وراء الموقف الأمريكي، ليس مجرد المصالح السياسية والاقتصادية فقط بل رواج الفكر الأصولي المسيحي بين طائفة كبيرة من المواطنين بالولايات المتحدة، ولاسيما القادة السياسيين والدينيين،

(1) Report SSTRL, **Causal Factors of Radicalisation**, 1 April 2008, Work-package 4, Available at : (www.transnationalterrorism.eu/tekst/publications/Causal%20factors.pdf).

وقد تنبه لهذا الأمر الكثير من الكتّاب، ولعل من أبرزهم الكاتبة **غريس هالسل** في كتابها الهام: «**النبوءة والسياسة**»، حيث رصدت ذلك الأمر بشكل رائع، فذكرت في كتابها، كيف أثرت النظرة الأصولية للمسيحية الإنجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية على موقف قطاع واسع من الشعب الأمريكي في نظرته لليهود على أنهم شعب الله المختار وأنّ نصرة بني إسرائيل في فلسطين والوقوف إلى جانب اليهود هو مطلب إلهي، ذلك أنّ عودة المسيح، مشروطة بقيام دولة صهيون، بعد تجميع اليهود في أرض فلسطين، والإيمان بأسطورة هرمجدون أو المحرقة النووية، التي تتحدث عن حرب نووية بين اليهود وأنصارهم المسيحيين والشعوب الكافرة سيحصل في آخر الزمان، وأنه لا بد أن يذوب في هذه المحرقة كلّ أولئك الذين ينكرون المسيح من الملحدين الشيوعيين، ومن المسيحيين العلمانيين، ومن المسيحيين غير الإنجيليين، ومن المسلمين، ومن معظم اليهود، وقد روّج لمثل هذه العقائد والخرافات رجال دين مسيحيين كثر في الولايات المتحدة الأمريكية أبرزهم «جيري فالويل».[1]

وقد آمن بتلك النبوءات ساسة وقادة بارزون في الولايات المتحدة الأمريكية كالرئيس السابق رونالد ريغان، الذي عرف عنه إيمانه بأسطورة هرمجدون أو نهاية العالم. يقول أندرو لنغ من مدينة واشنطن ومدير

(1) **جيري فالويل**: قس أمريكي مسيحي أصولي، يوصف بكونه يحمل آراء متشددة في مواضيع مثل المثلية والإجهاض والعلمانية ومواقف مؤيدة لدولة إسرائيل، ومعادية للإسلام، ويشاهد دروسه الأسبوعية ملايين الأمريكيين، أكثر من 6 ٪من إجمالي المشاهدين.

الأبحاث في المعهد المسيحي بعد دراسة معمقة عن رونالد ريغان وعن نظرية هرمجدون :

(إنّ الملاحظات التي حررت عن ريغان في السبعينات وكشف عنها للمرة الأولى في 1985م، تثبت أنّ ريغان كان مؤمناً بهذا النظام، وبأيديولوجية هرمجدون).[1]

ويُعَدُّ جورج دبليو بوش الجدّ، من أنصار مثل هذه الرؤية، حيث طالب في كتابه: (حياة محمد) عام 1831م، بأنّه:

«ما لم يتمّ تدمير المسلمين، فلن يتمجّد الربّ بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم».[2]

وكذلك الحال مع الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش الابن الذي وصف الحرب التي يشنّها على الإرهاب عشية غزو العراق، بأنها «حرب صليبية»،[3] بل إنّ هناك من ذهب إلى اعتبار الرئيس جورج بوش الابن أحد المنتمين عملياً لتيار المسيحية الصهيونية، الذي يؤمن بتدمير العالم، وخاصة الشرق المسلم، ونسف المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل، وتمهيد الأرض لعودة المسيح تحقيقًا لنبوءات توراتية كاذبة.[4]

---

(1) جريس، هالسل، **النبوءة والسياسة**، القاهرة، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، 2003م، ط2، ص 44.

(2) كامل، مجدي، **المسيحية الصهيونية التطرف الإسلامي والسيناريو الكارثي!!**، دمشق- القاهرة، دار الكتاب العربي، ط1، 2007، ص 11.

(3) لمزيد من التفصيل حول بوش والحرب الصليبية انظر الرابط التالي:
<www.csmonitor.com/2001/0919/p12s2-woeu.html>

(4) كامل، مجدي، **المسيحية الصهيونية**..، م. س.، ص13-17.

وقد توصّل أحد الباحثين الأمريكيين مؤخرًا بعد دراسته لكلّ أحاديث الرئيس بوش الابن وخطاباته، إلى أنّ بوش: «**أصولي مسيحي**، يؤمن بأنّ الضفة الغربية وقطاع غزة منحة ربانية لليهود لا يجوز التنازل عنها».[1] وهو نفس الاعتقاد الذي عبّر عنه (التحالف المسيحي) بقيادة (بات روبرتسون) مؤخراً في مسيرة له بواشنطن العاصمة، طالب فيها القادة الإسرائيليين بعدم التنازل عن الضفة وقطاع غزة، لإنّ ذلك «مناقض لإرادة الربّ».[2] وقد استغربت الكاتبة جريس هاليس، كيف أصبح اليهود في نظر العديد من المسيحيين أقرب وأهم من أخوانهم من المسيحيين الآخرين، بما في ذلك المسيحيون الفلسطينيون، كما استغربت كيف أنّ بعض المسيحيين الأمريكيين مستعدون لتجاوز الخطوط الحمراء في خدمة الأهداف اليهودية، أكثر من اليهود أنفسهم.[3]

ولاحظت الكاتبة الأمريكية أنّ الأصوليين المسيحيين في أمريكا مستعدون لتقبل نقد موجه لفرنسا أو انجلترا أو ألمانيا أو الولايات المتحدة أو أي بلد آخر في العالم، لأن ذلك شأن سياسي، أمّا نقد إسرائيل

---

(1) صرح الرئيس جورج دبليو بوش في العديد من المناسبات أن سياسته الخارجية، هي نابعة من إيمانه واستجابة لمشيئة الله، ذلك أنّ الرب أخبره مثلاً بغزو العراق ومهاجمة بن لادن في أفغانستان، كجزء من المهمة الإلهية لجلب السلام للشرق الأوسط، فبعد إعطائه الأمر بغزو العراق في مارس 2003م، أخبر السيد بوب ودورد، «كنت أصلي طلباً للنصرة لتحقيق مشيئة الله»، « أنا أصلي بأن أكون بشكل جيد رسول الإرادة الإلهية قدر الإمكان» لمزيد من التفصيل يرجى قراءة مقالة « الله والرئيس بوش»، على الرابط التالي:-
(www.commondreams.org/headlines05/1007-03.htm).

(2) الشنقيطي، محمد بن مختار، **المسيحية الصهيونية والسياسة الأمريكية**، موقع الجزيرة منتدى المعرفة، على الرابط التالي:
(www.Aljazeera.net/analysis/ analysis/pages/17dbd25a-9410-4ebd-a63f-91873 f3668a).

(3) هالسل، جريس، **النبوءة والسياسة**، م.س.، ص 89.

فهو يساوي عندهم نقد الربِّ ذاته.[1] وهو ما عبّر عنه الرئيس الأمريكي جورج بوش بالقول:

« إن علاقة أميركا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي»[2].

هذا وتعتبر أسطورة «**هرمجدون**» التي أشرنا إليها من قبل من أكثر الأساطير المؤثرة في العقل الإنجيلي المسيحي الأمريكي، ففيها يتحقق وعد الله بالنصر الحاسم للولايات المتحدة الأمريكية، ومن ورائها إسرائيل. ويرى مجدي كامل في كتابه « **المسيحية الصهيونية والتطرف الإسلامي والسيناريو الكارثي**»، أنّ الأصولية والتطرف من جانب أصحاب الأديان الثلاثة هما المسئولان في المقام الأول عن قيادة العالم نحو كارثة حقيقية، حيث يقول في هذا الصدد:

«وهكذا اشترك المتطرفون المسيحيون واليهود والمسلمون – جميعهم– في جرّ العالم إلى حربٍ وشيكةٍ مدمرةٍ، وبدلاً من أن يتوحدّ المسلمون لمواجهة هذا الخطر الداهم، ويحاولوا استقطاب قوى العقل والمنطق في الغرب، ممن يرفضون المسيحية الصهيونية، واختطافها للدين المسيحي، انشغل المسلمون بانقساماتهم، واستسلموا للمؤامرة شعوباً وحكومات، وخرجت من بين صفوفهم جماعات تحاول اختطاف الدين الإسلامي، لتعتنق الفكر التكفيري، وتقتل وتخّرب وتدّمر باسم الإسلام، لتقدّم إلى من يتربصون بالإسلام ما يعملون من خلاله على

(1) المرجع السابق، ص80.
(2) الشنقيطي، محمد بن مختار، **المسيحية الصهيونية والسياسة الأمريكية**، م. س.

تجبية (مواجهة) الغرب المسيحي، واستقطاب شعوبه، لتسويق فكرة **العدو المشترك** وهو **الإسلام**»[1].

وبالإمكان الآن رصد مدى الخلاف الذي ألحقه الفكر الأصولي لدى أتباع الديانتين المسيحية والإسلام، وقد ذكرناه بالكثير من الإيجاز لارتباط طرفيه بظاهرة الإرهاب ظهورًا واستفحالًا، واستبعدنا الديانة اليهودية رغم أنّ هناك الكثير ممّا يمكن أن يقال في جانب الأصولية اليهودية، فالعقلية الأصولية الرافضة للآخر والحاملة للقيم السلبية، وغير القادرة على التكيف، ولّدت لنا فئة لا تعير قيمة حقيقة للإنسانية المجردة، ولا تأبه بالمكتسبات الحضارية وتعيش التاريخ لا الواقع الذي تعامت عنه، ومع أن التطرف ينمو في اتجاهات عدة، لكنه يغلب عليه الميل للعنف باعتبارها وسيلة نافعة وصالحة، ويشكل العنف نقطة التلاقي بينه وبين الإرهاب، فقد جاء في تعريف الاتحاد الأوربي للتطرّف بأنه:

«ظاهرة لأناس يقتنعون بوجهات نظر ورؤى وأفكار يمكن أن تقودهم لأفعال الإرهاب».[2]

(1) كامل، مجدي، **المسيحية الصهيونية التطرف الإسلامي**...، س. ذ.، ص 9.
(2) Report SSTRL, **Causal Factors of Radicalisation**, 1 April 2008,Workpackage 4, Available at : <www.transnationalterrorism.eu/tekst/publications/Causal%20factors.pdf>

# الفصل الثالث

# الإســــــلام والإرهـــــاب

هناك جملة من الأسباب التي دفعتنا لتخصيص فصل خاص عن العلاقة بين الإسلام والإرهاب، وإن كان الموضوع يحتاج لأكثر من هذا الحيز في التناول، إلّا أنّ هذه الدراسة لم تكرّس لهذا الغرض، عليه سنقوم بتناول الموضوع بشيءٍ من الإيجاز والتركيز حتى لا يضيع فيه الإلمام الجيّد بهذا الموضوع، ولعلّ من أبرز الأسباب لهذا التناول، هو ما تحظى به ظاهرة الإرهاب المقترف باسم الإسلام على يد تنظيمات تدعي إسلامية المنطلق والمظهر، كتنظيم القاعدة والحركات الجهادية العاملة باسم الإسلام، ونصرة الدين، وتحظى بالنصيب الأوفر في ممارسة أعمال العنف، كما أننا نشاهد في الآونة الأخيرة ربطًا شبه متلازم لأعمال الإرهاب بالإسلام في كافة وسائل الإعلام الغربية، وتصريحات الكثير من قادة الفكر والسياسة في الغرب والشرق تعرب عن أنّ الإسلام دين الإرهاب، وأنّ رسالة القرآن رسالة إرهابية، الأمر الذي وجد صداه وساعدت عليه عدة عوامل كأفعال وسلوك بعض المسلمين، والقراءة الخطأ للتراث الإسلامي، والتصور الفقهي التقليدي للعلاقة بين المسلمين وغيرهم، وظهور تيار فكري وحركي إسلامي يستمدّ أفكاره ومرجعيته من تأويلات وتفسيرات خاطئة؛ وزاد من تعقيد المشكلة كون القرآن حمّال أوجه.

كذلك تفسير المواجهة بين الجماعات الإرهابية الإسلامية والغرب وتحديدًا الولايات المتحدة الأمريكية بأنه صراع بين الحضارات، كما أشرنا سابقاً، الأمر الذي أقرّ به طرفا المواجهة، فعندما سئل أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة: «ما رأيكم فيما قيل حول... صراع الحضارات؟ بصورة مطردة استخدمت وأعدت كلمة الصليبية والصليبي أيدل ذلك أنك تؤيد القول بصراع الحضارات؟»، ردّ بالقول: «أنا قلت: لا شكّ حول ذلك، إنه أمر في غاية الوضوح...».[1]

ولعلّ الأهمّ من كلّ ذلك في تناول هذا الفصل هو الكشف عن أحد أهم الأسباب المنتجة للإرهاب في تقديرنا، ربما يكون الأهم في عالمنا العربي والإسلامي، فعند التمحيص تتضاءل الكثير من الأسباب المطروحة للكشف عن جذور الإرهاب، فالفقر مثلاً رآه الكثير السبب الرئيس للإرهاب، فمنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، ركزت كلّ مراكز الدراسات على الكشف عن جذور الإرهاب لمكافحته، في اللقاءات والحلقات الدراسية حول الإرهاب، وانصبّ التركيز على موضوع الفقر بوصفه عاملًا أساسيًا منتجًا للإرهاب في العالم الإسلامي، وجاءت المقترحات بإطلاق خطة إنقاذ [على غرار خطة] «**مارشال بلان**»، للعالم الإسلامي للقضاء على الإرهاب، ولكن الأشخاص الذين دبروا ونفذوا هجمات الحادي عشر لم يقدموا من أوساط فقيرة بل على العكس تماما،[2] ولهذا أكدّ الكاتب فريد زكريا في بحثه عن جذور الإرهاب في العالم الإسلامي، على أن تدفق الثروة (النفط) في الوطن

(1) DUNN, Michael, ”**The Clash of Civilization and the War on Terror**”, in: 49th Parallel, Vol.20, Winter 2006-2007, Available at: <www.asaha.com/dowenload/zNTg0MDc5>

(2) ZAKARIA, Fareed, **The Future of Freedom: Illiberal Democracy at home and Abroad**, New York, Norton, 2007, p.136-137.

العربي مسئول على ظهور الإرهاب بشكل رئيس، نافياً أن يكون الفقر أو اللامساواة، هي الأسباب وراء استفحال ظاهرة الإرهاب، بل الغنى الذي أعاق المسيرة نحو التنمية والعصرنة بالقول: «المشكلة هي الثراء وليس الفقر... الأنظمة التي صارت غنية من خلال الموارد الطبيعية لم تتجه أبدًا نحو التنمية والعصرنة، أو تحصلت على الشرعية».(1)

وإن كنّا نتفق مع الكثير مما قاله الكاتب حول هذه النقطة، إلا إننا نرى أن هناك بلا شكّ عوامل عدةّ ساهمت في ظهور وتفشي الفكر الإرهابي في العالم الإسلامي، قد تخف إحداها أو تغيب في حين، لتظهر أو تقوى في وقت آخر، ولكن الجانب الفكري الديني أو الأصولي هو في تقديرنا العامل الأهم والملازم بصورة أكبر للعمل الإرهابي في العالم الإسلامي الموجه للغرب، فهو المسئول عن تراجع الفكر المعاصر التنويري والعقلاني، ولهذا سوف نتناول بالبحث جملة من الموضوعات لبيان أبعاد العلاقة بين الجانب الديني وتفشي الفكر الإرهابي في العالم الإسلامي، من خلال الإجابة على جملة من التساؤلات، منها:

**أولا**: ما هي طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب؟

**ثانيا**: ما مفهوم الجهاد في الإسلام وهل يحظى التصور الفقهي لتقسيم المعمورة (دار إسلام- دار حرب- دار عهد) بصفة الإطلاق؟

**ثالثا**: ما المنطلقات الدينية ( الشرعية ) التي بنت عليها الجماعات الإرهابية (تنظيم القاعدة والتنظيمات الجهادية) تصورها للآخر؟

**رابعا**: هل تعاليم الإسلام تبارك وتدعو لاستخدام العنف وشن الحرب العدوانية؟

(1) Ibid., p.138

# المبحث الأول

## طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم

إنّ طبيعة العلاقة وأصلها بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب وفق تعاليم الشريعة الإسلامية هو السلم والمسالمة، وهو هدف الحياة الاجتماعية، والمثل الأعلى للتعايش بين الأمم المحبة للسلام والعدل، فالسلم والسلام من صميم الإسلام[1]، والسلام هو اسم من أسماء الله تعالي الحسنى، وصفة من صفات الجنة (دار السلام)، وتحية الإسلام وأهل الجنة (السلام عليكم)، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[2]، فالسلام هو الأصل في العلاقة مع الغير، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالركون للسلام ما تأتي ذلك له، قال تعالى:

﴿إِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

---

(1) محمصاني، صبحي، **القانون والعلاقات الدولية في الإسلام**، بيروت، دار العلم للملايين، 1982، ط2، ص 180.

(2) جاء في **صحيح مسلم** (592): (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبن نمير، قالا: حدثنا أبو معاوية عن عاصم، عن عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت: كان النّبِي صلى الله عليه وسلم إِذا سلم لمْ يقعد إِلّا مِقْدار ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والاكرام»، وفي رواية ابن نمير: (يا ذا الجلال والإكرام). أنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، الرياض، دار طيبة، المجلد الأول، ص 266-267. (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة).

(3) **القرآن الكريم**، سورة الأنفال، الآية 61.

إنّ الأصل في العلاقة هو السلام، وعلى الأمة وأبنائها عدم تمني الحرب لأن الحرب ما هي إلا دمار وخراب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية»[1]

فالحرب شيء غير مرغوب فيه، والعلاقة بين الناس تبنى على السلام فمع اختلاف أديانهم وأعراقهم وأجناسهم، فهم مأمورون بالتعارف والتقارب بينهم، وحسب ما ورد في القرآن والسنة النبوية الشريفة. قال تعالى:

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[2].

وقد أمر الإسلام بحسن معاملة أصحاب الديانات الأخرى خاصة الديانات السماوية (اليهودية – المسيحية – الصابئة) ما داموا غير محاربين للإسلام، وأقرّ لهم بحرية اعتناق العقيدة والدين الذي يختارون

---

(1) روي **البخاري في صحيحه**، **كتاب** الجهاد والسير، **باب** كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، :(حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن موسى بن عقبة عن سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له، قال كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، فقرأته: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيباً قال أيها الناس، لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم). أنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423هـ2002–م، ص731.

(2) **القرآن الكريم**، سورة الحجرات، الآية 13.

حتى بعد إقامة البينة والحجّة عليهم، تعزيزًا لمناخ التعايش السلمي بين بني البشر، قال تعالى:

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[2]

فالحوار والتناصح والدعوة بالحسنى هو السبيل الوحيد لإبلاغ رسالة الإسلام، لغير المسلمين، على أن يتمتع غير المسلمين بحق رفض الدعوة الإسلامية أو قبولها، قال تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[3].

(1) **القرآن الكريم**، سورة الممتحنة، الآيتين 8-9.
(2) **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية 256.
(3) **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية 29.

فلم يجعل الإسلام قضية الاختلاف العقائدي مجالاً للتنازع والصراع، بل أدخلها في دائرة التناصح والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(1).

ولم يمنح الإسلام الأمة الإسلامية أيّ نوع من الوصاية العقدية على ضمائر غير المسلمين، قال تعالى:

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾(2).

وقال تعالى:

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(3).

ذلك أنّ الإيمان والكفر مسألة ذاتية وشخصية **﴿من حيث القبول والرفض ابتداءً﴾**، ولا يحقّ للبشر حتى المصطفين منهم، سلطة الإجبار والإكراه على الدين، قال تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾(4).

والسؤال الذي نطرحه هنا، إذا كان الإسلام قد جعل الأصل في العلاقة السلم والمسالمة، فهل لهذه الصفة (السلم والمسالمة) صفة

---

(1) **القرآن الكريم**، سورة النحل، الآية 125.
(2) **القرآن الكريم**، سورة الإسراء، الآية 54.
(3) القرآن الكريم، سورة الغاشية، الآية 22.
(4) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 13.

الإطلاق، في العلاقة بين المسلمين وغيرهم؟ أليس هناك أوضاع دولية معينة تتطلب أن يلجأ المسلمون للحرب لا السلم تعزيزاً للسلم ودفاعاً عن النفس وحماية للأمة ورفعًا لفتنة الصرف عن العقيدة، كإجراء تقتضيه الضرورة، ويلجأ فيه للحرب لوجود عارض وفق ضوابط وبقدر رفع ذلك العارض؟ لماذا شرع الإسلام القتال أو الجهاد باستخدام السيف في سبيل الدين ونصرته؟ هذا ما سوف نتناوله بالبحث في الأسطر التالية .

## المبحث الثاني

# الجهاد في الإسلام

ارتبط مفهوم الجهاد في الإسلام بـ(القتال)، غير أنّ التحقيق اللغوي والاصطلاحي القرآني يقدم لنا الفارق الكبير، بين مفهوم الجهاد بوصفه مفهومًا عامًا (حقيقي)، ومفهوم الجهاد بمعنى القتال بوصفه مفهومًا ضيّقًا (مجازي) يعكس جوانب من الجهاد في مفهومه العام الأوسع، فما الجهاد لغة واصطلاحاً في المفهوم القرآني؟

### الجهاد لغة:

معنى الجهاد وفق المعاجم اللغوية هو « الجهاد هو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول وفعل»[1]. وفي التعريفات : « الجهاد هو الدعوة لدين الحق»[2].

---

(1) ابن منظور، جمال الدين **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، 1400هـ، ط1، م3، ص 35.

(2) الجرجاني ، على بن محمد الشريف، **كتاب التعريفات**، بيروت، مكتبة لبنان، 1969م، ص84. (مادة الجهاد)

## الجهاد اصطلاحاً:

يتفق التعريف الاصطلاحي الشرعي مع المعنى اللغوي، فقد ورد في أحدث معجم علمي تحليلي لألفاظ القرآن الكريم، أصدره مجمع اللغة العربية، المعنى الاصطلاحي للجهاد بأنه: «الجهاد في القرآن ورد مرارًا أريد به بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها»[1].

إنّ المعنى اللغوي للجهاد، بذل الطاقة واستفراغ الوسع وهو غاية المشقة، ومعناه القرآني وفق التعريف العلمي والتحليلي: «بذل الطاقة واستفراغ الوسع في سبيل تبليغ رسالة القرآن»[2]، وهو الذي يسميه الله بالجهاد الكبير، قال تعالى:

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[3].

فالضمير في الآية عائد على القرآن[4]، لأن الآية مكية، قبل الإذن في القتال، إن إطلاق لفظ الجهاد على القتال هو إطلاق مجازيٌّ وليس حقيقيًا، إن الجهاد المطلوب من الأمة هو تبليغ رسالة القرآن وتوعية الناس بقضية الحياة الآخرة وإقامة الحجة على عباد الله، وهو جهاد مطلوب بصفة خاصة من النبي صلى الله عليه وسلم، وبصفة عامة من الأمة الإسلامية، كما ورد ذلك صريحاً في القرآن الكريم، قال تعالى:-

---

(1) نقلًا عن: محمد سليمان القائد، منهج الهداية، القاهرة، الرسالة للإعلام الدولي، 1990م، ط1، ص 89.

(2) المرجع السابق، ص 88.

(3) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية 52.

(4) الضمير هنا عائد على القرآن أو الإسلام، أنظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير الوسيط**، دمشق، دار الفكر، 2000م، ج2، ص1806.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1].

ولكننا نجد أن الكثير من الحركات الجهادية قامت على أساس الزعم بأنّ رسالة الأمة الإسلامية هي القتال بما هو مرادف حقيقي للجهاد، وصارت تدعو لشنّ حرب شاملة على كافة الشعوب والأمم، مع أنّ القتال لم يرد وسيلة مطلقة للجهاد بل وسيلة مقيدة، وليس مطلوباً بصورة مطلقة كما هو الجهاد ( الدعوة وتبليغ الرسالة ) المطلوب بصفة دائمة[2].

لقد تعزّزت تلك النظرة الخطأ لمعنى الجهاد، بعدة عوامل كانت وراء تأصيل هذا المفهوم للجهاد بمعنى القتال، في الزمن الحاضر، منها : القراءة الخاطئة للتراث الديني في ظل تدني الوعي والثقافة السائدة لدى الأمة، فالأمة الإسلامية تعيش حالة من الضعف والإحباط، خاصة إذا ما قورن حاضر الأمة بماضيها الزاهر، بالنظر إلى كونها الأمة التي كانت تحكم العالم بالأمس وتعيش اليوم تحت رحمة أعدائها؛ إنّ انتشار وشيوع المفهوم الخاطئ للجهاد، من ضمن تلك العوامل، فقد اعتبر أنّ الجهاد، هو إعلان حرب على كلِّ من لا يعتنق الإسلام ويخضع لأحكامه. وسنكتفي بعرض أهمّ عاملين ساهما في تشكيل ورواج مفهوم الجهاد بمعنى القتال، والقول بأنّ رسالة الإسلام هي رسالة لإعلان الحرب على

(1) **القرآن الكريم**، سورة الحج، الآية 78.
(2) القائد، محمد سليمان **منهج الهداية**، القاهرة، الرسالة للإعلام الدولي، 1990م، ط1، ص 102-105.

الأمم والشعوب الأخرى، حتى يخضعوا للإسلام طوعاً أوكرهاً، وهما: التصور الفقهي التقليدي (المرتبط باجتهاد وقتي)، للعلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب، والتصور الفكري السياسي المعاصر للدين. كما ساهم ذيوع بعض المفاهيم والمصطلحات في تلغيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب، أو بين غيرهم من الطوائف والملل في البلد والوطن الواحد، في ظل تنوع الديانات واختلاف الملل اليوم في البلد الواحد، حتى قل ما يوجد بلد يكون سكانه مسلمون بالاطلاق، بل يضم المسلم واليهودي والمسيحي وغيرهم من أصحاب الأديان.

## أولاً: التصور الفقهي الوقتي للعلاقة بين المسلمين وغيرهم

يذهب التقسيم الفقهي التقليدي للعلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب، حسب ما ذهب إليه عدد من الفقهاء إلى تقسيم المعمورة إلى دور ثلاثة هي:

1) **دار إسلام**: وهي البلاد الخاضعة لسلطان المسلمين وحكمهم.

2) **دار حرب**: وهي البلاد الكافرة الخاضعة لسلطان الكافرين وحكمهم.

3) **دار عهد**: وهي البلاد التي بينها وبين المسلمين عهد.

وبناءً على هذا التقسيم رأى بعضهم أنّ العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب، هي الحرب والقتال حتى يُسلموا أو يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون؛ وعلى هذا الأساس يتم تبرير الأعمال التي يقوم

بها العديد من المسلمين ضد الدول والمجتمعات الأخرى على أنها «**دار كفر**».

هذا التصور الخاطئ للعلاقة بين المسلمين والأمم والشعوب الأخرى ناجم عن إعطاء اجتهاد فقهي مؤقت لوضع ما، صفة مطلقة أو دائمة، وهذا التقسيم أو القسمة - إن صحّ التعبير- لم تكن قسمة قرآنية، ولا قسمة نبوية - وإن بُنيت على اعتبارات ذات علاقة- بل هو مجرد تقسيم فقهي في زمن معين، جاء به الإمام محمد بن حسن الشيباني[1]، وهو يحاول أن يبين للخليفة هارون الرشيد[2]، الموقف من الدول والشعوب المجاورة لبلاد المسلمين، في ذلك الوقت، إذ يتطلب التعامل معها إيجاد إطار فقهي تصنيفي ما، لتسهيل وضع السياسات في التعامل مع تلك الدول، وقد بيّن الكثير من الفقهاء أنّ هذا التقسيم تقسيم آني لواقع معين، ولكن نِيطَ بِهِ صفة الإطلاق، ليصبح متعارضًا أو متناقضًا مع مضمون الرسالة القرآنية وتوجيهات النبوة، يقول الدكتور وهبة الزحيلي موضحاً أن تقسيم الفقهاء تقسيم استنباطي مؤقت مستدلاً برأي الشيخ محمد أبو زهرة الذي رأى أن السلم لا الحرب أصل العلاقة بين المسلمين والأمم والدول الأخرى

« وأما تقسيم الفقهاء للعالم إلى دارين، دار إسلام ودار حرب، فلم يكن بحكم الشرع، وإنما باستنباط الفقهاء المجتهدين بحكم الواقع، كما

(1) **محمد بن الحسن الشيباني** (131-189هـ) فقيه مجتهد وولي القضاء، تتلمذ على يد كبار التابعين، صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان.

(2) **هارون الرشيد** (149-193هـ)، خامس خلفاء الدولة العباسية، وامتدت الدولة الإسلامية في عهده إلي أغلب أرجاء العالم المعروف.

يرى أستاذنا المرحوم محمد أبو زهرة، ويؤكد ذلك أنّ الإمام الشافعي[1] رضي الله عنه رأى الدنيا كلها في الأصل داراً واحدة، ورتّب على ذلك أحكاماً باعتبار أنّ تقسيم الدنيا إلى دارين أمر طارئ فالأمة غير الإسلامية التي لم تبدأ المسلمين بعدوان، ولم تتعرض لدعاة الإسلام وتركتهم أحراراً يعرضون دينهم على من يشاؤون لا يحل قتالها، ولا قطع علاقاتها السلمية، والأمان بينها وبين المسلمين ثابت لا يبذل مال، أو عقد معاهدة، وإنما هو ثابت على أساس أنّ الأصل السلم، ولن يطرأ ما يهدم هذا الأساس من عدوان على المسلمين أو على دعوتهم، ومبادئ العلاقات الدولية في الإسلام لا تسمح لاعتبار الحرب أصل هذه العلاقات»[2].

وقد تناول طه جابر العلواني، رئيس جامعة العلوم الإسلامية، ورئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، التصنيف الفقهي لدار الحرب ودار الإسلام واعتبره بأنه تصور وقتي وصفي لواقع ما ولا ينسجم مع التصور الإسلامي العام:

« ثم بدأ تدوين المدونات الفقهية والأصولية وسواها في وقت كانت الدولة التي تم بناؤها وورثت دولة الخلافة قد تعرضت لعمليات تدافع وجهاد... مما دفع فقهاء المسلمين آنذاك ومفكريهم إلى تأصيل تلك الحالة الواقعة ووضعها في إطارها الفقهي فقسمت الأرض – بالنسبة لموقف أهلها من الإسلام– إلى دار إسلام ودار حرب، وأضاف بعض الفقهاء دار العهد، وهذه قسمة قامت على تقنين فقهي لحالة قائمة

(1) الإمام الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي (766–820م)، صاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي ويعد مؤسس علم أصول الفقه.
(2) الزحيلي، وهبة، **العلاقات الدولية في الإسلام: مقارنة بالقانون الدولي الحديث**، بيروت، مؤسسة الرسالة،1981، ط1، ص102.

وليست تأصيلاً نظرياً من الإطار المرجعي التنظيري الذي عليه يبنى ويقوم التصور الإسلامي وسائر مقوماته وقواعده: فالتصور الإسلامي عالمي منذ بداياته تشيع فكرة العالمية في جوانبه كلها سواء منها العقيدية أو الشرعية، أو رؤيته الكلية للكون والإنسان والحياة»[1].

وهذا ما اتفق عليه مؤخرًا علماء أزهريون على أنّ مصطلح **(دار الحرب)** و**(دار الإسلام)**، أفرزه الفقه الإسلامي قديماً في ظل ظروف ومناسبات كانت تستدعي هذا التقسيم، ولم يعد له تطبيق في واقعنا المعاصر، وذلك لأنه لم تعد هناك دار حرب في التجمع الدولي الآن، وأنّ كل التجمعات البشرية في العالم في دار واحدة سميت دار السلام، وأكد العلماء على ضرورة تجديد الاجتهاد في الفقه الإسلامي لمواكبة ومواجهة المستجدات خاصة في بعض الأحكام الفقهية التي كانت تُطبق قديماً ولم يعد هناك مسوغ لوجودها لانتفاء توفر الأدلة على ملائمتها العصر، ورأى الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية وأستاذ القانون الدولي بجامعة الأزهر، أن الفقهاء المسلمين قد أجمعوا على أنه لا أمان بين الدولة الإسلامية وهذه الدار (أي دار الحرب)، إلا إذا تم عمل عهود تحقق السلام بين دار الإسلام ودار الحرب تتحول بعدها دار الحرب إلى دار سلام، ولا يسوغ محاربتها إطلاقاً إلا إذا نقضت هذا العهد مشيرًا إلى أن بعض الفقهاء من تزيّد في إضفاء صفة الحرب على كلّ الديار التي لا يأمن فيها المسلم على نفسه، ولا يستطيع أن يقيم شعائره وأحكام دينه على أرضها ولم تكن بينها وبين دار الإسلام عداوة ، وهذا ما جعل بعضهم يطلق على الديار كافةً غير

---

(1) العلواني، طه جابر، **المقدمة العامة لمشروع العلاقات الدولية في الإسلام**، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997، ط1، ج1، ص12.

دار الإسلام ودار العهد دار الحرب، وأجاز بالتالي مبادرتها بالاعتداء واستخدام السيف.

وتابع الدكتور عبد السلام قائلاً: إن هذا الرأي في الفقه القديم يعبر عن ضعفه لأنه لم تعد هناك دار حرب في ظل التجمع الدولي الآن، فنحن جميعاً نعيش في دار واحدة سميت دار السلام، كما يشير إلى ذلك حكم القانون الدولي والتنظيم الدولي المعاصر، فالحرب لم تعد مشروعة إلا للدفاع الشرعي أو الكفاح لتحرير الأراضي المحتلة، بل تحظر المادة 2/ 4 من ميثاق الأمم المتحدة كافة صور استخدام القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية ؛ وأضاف الدكتور عبد السلام: إنّ السلام أصبح هدفًا في العلاقات بين الأمم والشعوب والدول في العصر الحالي، كما أنها اتفاقية دولية نصّ عليها ميثاق الأمم المتحدة، وانضمت إليها كافة الدول بما في ذلك الـــ 57 دولة إسلامية أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي حيث توقع أية دولة تريد أن تنضم إلى الميثاق على أنها دولة محبة للسلام وراغبة فيه ولا يحقّ لها أن تعتدي على غيرها أما الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة فيقول: لعلنا ندرك أنّ تقسيمات الفقهاء لديار المسلمين بأنها ديار السلام وديار غير المسلمين ديار كفر أو ديار حرب، هذا مصطلح كان يستعمل قديمًا في وقت اشتدت فيه هجمات الصليبيين على بلاد المسلمين، لافتًا إلى أن أوروبا شنّت ثماني حملات صليبية للقضاء على المسلمين في بلاد الإسلام، كما أنّ الاستعمار الغربي قد استولى على بلاد المسلمين، هذان المصطلحان دار الإسلام ودار الكفر، لم يعد لهما وجود في ظل العلاقة بين الدول وارتباط الشعوب بعضها ببعضٍ وتبادل المنافع وانتقال المسلمين إلى بلاد الغرب ودخول كثير من الغربيين في الإسلام

حتى أصبحت بلاد الغرب زاخرة بملايين المسلمين فالدِّين الإسلامي في فرنسا وبريطانيا وهولندا وألمانيا هو الدين الرسمي الثاني، وأصبح المسلمون في فرنسا قرابة خمسة ملايين وفي بريطانيا وألمانيا ما يقرب من ذلك، ومعنى هذا أن هذه المجتمعات الغربية أصبحت مجتمعات قريبة من الإسلام لأنّ المسلمين فيها يمثلون نسبة متزايدة، وأصبحت المدن الغربية تعجّ بمئات المآذن والمساجد، ومن هنا يبدو للباحث أنّ إطلاق مصطلح دار الكفر على البلاد الغربية فيه إجحاف وظلم لا ينبغي أن يقال على هذه المجتمعات بل ربما كان المسلمون في البلاد الأوروبية والغربية أكثر فهمًا للإسلام ووعياً لمفاهيمه، ولهذا ينبغي على المجامع الفقهية في العالم الإسلامي أن تصحّح هذه المفاهيم، فالمجتمعات الإنسانية المعاصرة كلها لا يخلو مجتمع منها من وجود مسلم[1].

## ثانياً : التصور الفكري السياسي المعاصر للدين

مع أنّ الإسلام دينًا وأيديولوجيا للبعث أو التجديد شهد زخماً في الشرق الأوسط وأفريقيا منذ منتصف القرن التاسع عشر، غير أنّ تيار الإسلام السياسي الذي يضرب أطنابه في العالم اليوم ويطلق عليه «الصحوة أو النهضة الإسلامية» ظهر على مسرح الأحداث في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ليشير ذلك إلى الموضع الذي صار فيه الإسلام المعاصر يلعب دوراً خطيراً في مجال السياسة الدولية، بحثاً عن السلطة كغاية في نفسها ووسيلة لنشر الأنموذج الإسلامي للحياة، وما

---

(1) خليل ، محمد، «**علماء أزهريون: مصطلحا دار الحرب ودار السلم، فقدا صلاحيتهما في ظل التنظيم الدولي المعاصر**»، الشرق الأوسط، الخميس 20 يوليو 2006، العدد 10096، مقال متاح على الرابط التالي:
(www.aawsat.com/details.asp?article=373982&issueno=10096).

عرف بموجة السلام الإسلامي (PAN-ISLAMIC)، المترجم عملياً بقيام الحركات الإسلامية المتطرفة بالهجوم مباشرة في عدة دول على مراكز السلطة للاستيلاء عليها وإقامة الدولة الإسلامية، كما حدث في السودان والسعي لتحقيق ذلك في الجزائر، وجاء هذا التحول نتيجة للمراجعة التي قام بها جملة من المفكرين أبرزهم أبو الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب[1]، لتعزيز السلطة الدينية والمعايير في معارضة الأنظمة القائمة، غير أن الأمر لم يقتصر عند بعضهم على الدعوة للنموذج الإسلامي[2]، بل إننا نجد أنه في الكتابات الفكرية المعاصرة قد راجت العديد من التصورات التي أسبغت على الإسلام صفة الرسالة السياسية أو حتى العسكرية، فقدمت الإسلام كنظام سياسي متكامل مضاهاة للأفكار السياسية التي راجت في مطلع القرن العشرين، ولم تقتصر إسهامات هذه المدارس الفكرية الإسلامية على مجرد تقديم تصّور

(1) **سيد قطب** (1906-1966م): كاتب وأديب ومفكر أسلامي معاصر، من أكثر الشخصيات تأثيراً في الحركات الإسلامية التي ظهرت في الخمسينات من القرن الماضي، وقد أعتنق أفكار الأستاذ أبو الأعلى المودودي وضمنها تفسيره للقرآن(في ظلال القرآن) الطبعة الثانية التي كتبها في السجن، والتي تعد تغييرًا في أصوال الدين، وقد أقرا سيد قطب بأنه غير في أصول الدين، في تفسيره وعده مذهبه الجديد، «الشافعي غير في الفروع وأنا غيرت في الأصول»، وقد نبه العديد من العلماء لخطورة هذا التفسير الذي كتبه سيد قطب في السجن، بعد ظهور جماعة التكفير والهجرة، فبمقتضي هذا التفسير، تصبح جميع المجتمعات بلا استثناء كافرة وتحيا حياة الجاهلية حتى المجتمع المسلم المعاصر، الأمر الذي ذكره السيد بشكل واضح في تفسيره، ومن أبرز ما كتب في العالم الإسلامي للرد على هذا التفسير، كتاب «**دعاة لا قضاء**» للشيخ حسن الهضيبي، وتولى العديد من الدعاة والمتثقفين الرد من أبرزهم الشيخ القرضاوي. أنظر: (القرضاوي، يوسف، **ابن القرية والكتاب**، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولي، 2008م.).

(2) NAGATA, Judith, **How to be Islamic With being an Islamic State**, pp.64-65, in: AHMED, Akbar and DONNAN, Hastings, **Islam, Globalization and Postmodernity**, London, Routledoge, 1994, p.242.

لنظام حكم إسلامي أو نموذج إسلامي متكامل (سياسياً – اجتماعيا- اقتصادياً ...)، بل تعدّى الأمر كلّ ذلك إلى تقديم تفسير متكامل للدين الإسلامي، متضمن بالطبع للعلاقات الدولية في الإسلام ومفهوم الجهاد وغير ذلك، وصارت الدعوة للإسلام تعني حربًا شاملة ضدّ الكفار (غير المسلمين)، وتحوّل العالم إلى فسطاطين فسطاط يعبد الله ويطبق أحكام الشريعة (الصفة الأساسية للربوبية ) وفسطاط أو عالم مشرك وجاهلي لا يخضع لأحكام الله ، فصار شكل النظام السياسي أساسًا لتقسيم العالم، وحتى مسألة الإيمان القلبي، تحولت إلى قيمة ثانوية، إذ العبرة بشكل النظام السياسي، لا بالخضوع القلبي والداخلي الذي لا يكفي وحده فالأساس هو الخضوع الخارجي والظاهري لأحكام النظام السياسي الإسلامي.

وهكذا بدأت عملية تصور وصياغة العالم في ظل عقلية أصولية، رأت أن تقسم العالم على أساس النظام السياسي، لمعسكرين أحدهما معسكر الخير والآخر معسكر الشر.

تعود جذور هذا التصور أو التفسير الجديد للدين الإسلامي، إلى مؤلفات أبو الأعلى المودودي[1]، وسيد قطب، ولقد زرع هذا التفسير

(1) **أبو الأعلى المودودي**(1903-1979م): مفكر هندي مسلم، مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند، وله العديد من المؤلفات الإسلامية، ككتاب الدين القيم وكتاب الجهاد في الإسلام، وكتاب المصطلحات الأربعة، الذي ضمن فيه وفي غيره تفسيره السياسي للدين، فهو لم يذهب إلى القول أن الدين الإسلامي فيه سياسة بل زعم أن رسالة الدين الإسلامي رسالة سياسية في الأصل وأن الأنبياء جاءوا من أجل إقامة الحكومة الإلهية، فالتوحيد يعني في هذا التصور الانصياع لأحكام الشريعة **فلا إله إلا الله تعني لاحاكم إلا الله**، وبهذا فإن الدول المعاصرة دول كافرة ما لم تطبق الشريعة، التي هي من أخص خصائص الربوبية، يقول أبو الأعلى، في المصطلحات الأربعة: (فالذي يستدل به

روح العداوة بين المسلمين وغيرهم من الشعوب والأمم وتحولت علاقة السلم في العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الشعوب والدول إلى علاقة حرب شاملة باسم الدين، فرسالة الإسلام العالمية عندهم ما هي إلا دعوة للإطاحة بالنظم غير الإسلامية، والجهاد يعني استخدام السيف سبيلًا لإقامة حكم الله في الأرض وإزالة كلّ الحكومات والنظم التي لا تحكم «بما أنزل الله» وتنازعه الربوبية أو الألوهية بالمعنى السياسي كما قدمها أبو الأعلى المودودي وتبناها سيد قطب[1]، يقول أبو الأعلى المودودي واصفاً ذلك:

«وهكذا فإنّ عالمية الإسلام وجزءًا مهماً من مفهوم التوحيد عند الأصوليين، تتطلب معارضة أي نظام إنساني، فلسفيًا وسياسيًّا لا يقف

---

من القرآن في هذا الشأن هو أنه لا يملك جميع السلطات والصلاحيات في السماوات والأرض إلا الله... ولا سلطة سواه ولا ينفذ فيها حكم لأحد غيره، وما من أحد دونه يعرف أسرار الخلق والنظم والتدبير- أو يشاركه في صلاحيات الحكم، ومن تم لا آله في حقيقة الأمر إلا هو...فأن الأواصر والعلاقات التي عقدتموها مع غير الله يجب أن تكون مختصة بالله لأنه هو الذي يملك السلطة دون غيره)، (المودودي، أبو الأعلى، **المصطلحات الأربعة في القرآن**، الكويت، دار القلم، 1971م، ط5، ص24.). ويعد تفسيره هذا خلافاً لكل المفسرين والمحدثين والعلماء السابقين، فهو يدعي أن ثلاثة أرباع الدين قد ضاع من الأمة الإسلامية، كما في الطبعة الأردية للكتاب، وقد وجه إليه الشيخ وحيد الدين خان المفكر الإسلامي، نقداً تفصيلياً، في عدة مؤلفات أهمها (**الخطأ في التفسير- التفسير السياسي- حكمة الدين**)، مركزاً أن خطأ المودودي ليس في أنه شرح وفسر وبين الجانب السياسي في الدين ولكن في أنه جعل السياسة أصل العقيدة وهدف الأنبياء، وأنّ هدف المسلمين هو السعي لإقامة حكومة إسلامية في الحياة الدنيا، وهو مدار ومناط عبوديتهم لله. أنظر: (خان، وحيد الدين، الخطأ في التفسير، القاهرة، دار الرّسالة الربانية، الطبعة الأولي، 1991م).

(1) عدّ روبرت كيجين الباحث والكاتب المشهور، أن سيد قطب أحد الآباء - فكرياً- لتنظيم القاعدة فقد رأى سيد قطب، إنّ الإسلام الحقيقي لا يمكن استعادته إلا عبر محاربة العالم الحديث على كل الجبهات، أنظر: (كيجين، روبرت، **عودة التاريخ ونهاية الأحلام**، طرابلس، الدار الأكاديمية، ط1، 2009، ص 116-117.).

عند حكم الله فالإسلام بوصفه نظامًا فلسفيًا يقف في مواجهة الكفر والإشراك، كما يقف بما هو نظام حكم ضدّ حكم الفرد وضدّ حكم المجموع.»[1]

ويقول سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) في توضيح هدف الجهاد الإسلامي بما يتفق مع تلك النظرة التي تجعل الرسالة الإلهية رسالة سياسية وفق مفهوم جديد للألوهية :

« إنّ هدف الجهاد الإسلامي هو تقرير ألوهية الله في الأرض ونفي غير ذلك من الألوهيات والأديان، ومن يحول دون وصول الدعوة إلى النّاس كافةً فهو معتدٍ على الناس معتدٍ على كلمة الله ، وإزالته عن طريق الدعوة هي إذن تحقيق لكلمة الله، فالاحتكام إلى الله جزء من العقيدة الإسلامية وشريعته وركن من أركانها( إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ) [2] سورة يوسف «[3].

ويؤكد سيد قطب في موضع آخر أن رسالة الإسلام هي إقامة نظام على أساس الشريعة ورسالة الجهاد هي تحقيق ذلك فيقول:

« فحيثما كان على وجه الأرض ظلم كان على الأمة الإسلامية استئصاله وإزالة أسبابه، هذا ليس حبًّا بتملك الأرض وإذلال الرقاب بل تحقيقاً لكلمة الله في الأرض خالصة من كلّ غرض وفرضاً لربوبية

---

(1) الموصلي، أحمد، **الأصولية الإسلامية والنظام العالمي**، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1992، ط1، ص20. نقلاً عن:
( **A short History of Revivalist Movement in Islam**- LAHORE: Islamic Publications,1963, p.5-22).

(2) يجب التنبه أن الإشارة في الآية **للحكم القدري** (القضاء والقدر)، وليس السياق الذي ذهب إليه سيد قطب (الحكم الشرعي).

(3) قطب، سيد، **السلام العالمي والإسلام**، بيروت، دار الشروق، 1983، ط7، ص25.

الله وحاكميته وعدله؛ أما أسلمة غير المسلمين فليس بهدف الإسلام بل يهدف إلى تخليص البشرية من ربوبية الطاغوت وإلى منحها العدل المطلق، (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ)، (النساء: 76) ... فالإسلام في نظر الأصوليين، هو ثورة لتحرير البشرية وثورة على ربوبية الإنسان، فهدف الجهاد إذن إقامة الحياة الدنيا في أرض الله على منهاج الله والحكم بما أنزل الله، لهذا فإنّ المجتمعات التي تحتاج إلى الجهاد هي المجتمعات غير القائمة على المفهوم الإسلامي للألوهية والربوبية، فالمسلم يقدّم دمه وروحه فداءً للعقيدة وهداية للناس وليس للحياة أو المال».[1]

بل إنّ سيد قطب في كتابه **(معالم في الطريق)** يحدد العلاقة من خلال الضابط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات، على أنها علاقة قائمة على إخضاع المجتمعات الأخرى للسلطة الإسلامية التي تحكم بالشريعة بالضد من المجتمعات الكافرة ، والجهاد هو إعلان حرب شاملة على تلك الأنظمة حتى تخضع لنظام الحكم الإسلامي، وعدّ أن من ذهب خلاف ذلك أنما هو منهزم روحياً، بالقول:

«إنّ الإسلام لله هو الأصل العالمي الذي على البشرية كلّها أن تفيء إليه أو أن تسالمه بجملتها، فلا تقف لدعوته بأي حال، من نظام سياسي أو قوة ماديّة وأن تخلّي بينه وبين كلّ فرد يختاره، أو لا يختاره بمطلق إرادته ، ولكن لا يقاربه ولا يحاربه ، فإن فعل ذلك أحد كان على الإسلام أن يقاتله حتى يقتله أو حتى يعلن استسلامه؛ والمنهزمون روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن «الجهاد» في الإسلام ليدفعوا عن الإسلام هذا

(1) المرجع السابق، ص 170.

«الاتهام» يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه في العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه ، والتي تعبد الناس للناس، وتمنعهم من العبودية لله... الجهاد في الإسلام أمر آخر، لا علاقة له بحروب الناس اليوم ... إنّ هذا الدين إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد ... وذلك لإعلان ربوبية الله وحده ... ومعناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر»[1].

## ثالثاً: الولاء والبراء

هناك مسألة أخرى على درجة عالية من الحساسية والأهمية، لما نجم عنها من آثار خطيرة، في تحديد طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب، وهي مسألة الولاء والبراء، ولهذا سنتعرض لها هنا بشيء من التركيز والإجمال. فنحن نجدها اليوم من المسائل المطروحة بشكل مثير، على الرغم من أن كتب التراث لم توليها المكانة التي تحظى ولا قريبا منها، لكنها اليوم صارت لدى البعض من أسس الدين والتدين الرئيسة، حداً جعل بعض العلماء والشيوخ والدعاة يتناولها ويُؤصِّل لها معتبراً لها كأصل من أصول الإسلام وأركان الإيمان، وهذا بخلاف مكانة المسألة عند سلف الأمة، بل أننا نجد عامة المسلمين وفي فترات التاريخ الإسلامي المختلفة لا تعرف لهذه المسألة ولا تعرض لها ولا تولي لها أي قدر من العناية التي يزعم البعض أنها جديرة بها، فكيف لهذه المسألة اليوم لتصبح أصلًا من أصول الإسلام والإيمان؟!.

(1) المرجع السابق، ص58-59.

لقد تُوسع في مفهوم الولاء والبراء، وتم إطلاقه دون قيد أو شرط، حتى صار يعم كل غير المسلمين دون استثناءٍ، ونتيجة لذلك التوسع في مفهوم الولاء والبراء أصبح يشمل كل تصرف أوسلوك أو فعل يقوم به المسلم تجاه غير المسلمين، حتى رد السلام على غير المسلم مسألة فيها نظر وحرج، فما بالك بطرح السلام ابتداءً، بسبب جعل مناط الولاء والبراء، هو الكفر والإيمان، وهذا بخلاف القرآن الكريم وسنة النبي الخاتم، فالموقف من مولاة غير المسلمين والبراء منهم ومودتهم، مناطه العداوة في الدين أو بلفظ القرآن (المحادة)[1]، والرضاء القلبي بعقائدهم، وليس مجرد الاختلاف في الدين، ولا يشمل الكفار غير المحاربين، فكتاب الله ينص صراحة على البر والقسط مع غير المسلمين ما داموا غير محاربين،[2] كمّا تشهد سيرة النبي الخاتم بأنه عامل المشركين بالبر والإنصاف والإحسان والحلم والصبر، مع كفرهم، فلم يتم تجريد العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الروابط الإنسانية، والاجتماعية والأسرية، بوصفها روابط فطرية، خلافاً لمذهب من انتهى به الإفراط في التوسع في مفهوم الولاء والبراء، للقول بتضييق الطريق على سالكيها من غير المسلمين. ويجدر بنا هنا لمزيد من الإيضاح لهذه المسألة التأكيد على النقاط التالية:

(1) الإشارة إلى قوله تعالي في سورة المجادلة، الآية 22: (لاّ تجِدُ قوْمًا يُؤْمِنُون باللّهِ والْيوْم الْآخِرِ يُوادُّون منْ حادّ اللّه ورسُولهُ ولوْ كانُوا آباءهُمْ أوْ أبْناءهُمْ أوْ إِخْوانهُمْ أوْ عشِيرتهُمْ أُولٰئِك كتب فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمان وأيّدهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ويُدْخِلُهُمْ جنّاتٍ تجْرِي مِن تحْتِها الْأنْهارُ خالِدِين فِيها رضِي اللّهُ عنْهُمْ ورضُوا عنْهُ أُولٰئِك حِزْبُ اللّهِ ألا إِنّ حِزْب اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُون)

(2) قال تعالي: (لاّ ينْهاكُمُ اللّهُ عنِ الّذِين لمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ولمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيارِكُمْ أن تبرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِليْهِمْ إِنّ اللّه يُحِبُّ الْمُقْسِطِين). سورة الممتحنة، الآية 8.

إنّ تطبيق حق الولاء والبراء يخص البراءة وعدم مولاة غير المسلمين المحاربين في الدين، دون غيرهم من عموم غير المسلمين ابتداءً فالآيات القرآنية الكريمة الخاصة بالنهي على مولاة الكافر أو غير المسلم مقيدة بالمحارب والمعادي في الدين. ويشهد بذلك العديد من الآيات القرآنية وسياق الآيات وأسباب النزول، وسيرة النبي الكريم وعمله، والقرون الأولى.

- لا يتنافى الأخذ بمبدأ الولاء والبراء مع وجود علاقة مودة بين المسلم وغير المسلم بدواعي القربة والمصلحة والمعروف والإحسان، بل الأصل في العلاقة معهم هي المودة والقسط، حال كونهم غير محاربين للمسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[1]
- كان من هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما تشهد به سيرته، وهدي آل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم، وجود علاقة نصرة وتحالف ومولاة ومودة وحب وعرفان مع غير المسلمين، وهو الأمر الذي يسهل تلمسه والعثور عليه، كما هو الحال في حزنه الشديد على موت عمه أبي طالب، وموقفه صلى الله عليه وسلم من قبيلة خزاعة والذين كانوا حلفاءه وكانوا عيبة نصح له،[2] وعرفانه

(1) القرآن الكريم، سورة الممتحنة ،الآية 8–9 .

(2) روي الإمام البخاري، في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث طويل، عن عبد الله بن محمد حدثنا

بصنيع المطعم بن عدي، حتى استرخص وهبه أسرى بدر لو كان على قيد الحياة[1]، بل أن الصحابي الجليل وشاعر النبي حسان بن ثابت، قال شعراً لرثاء المطعم بن عدى وبكاءه، رغم أنه مات مشركاً،[2] وأوصت أم المؤمنين صفية بنت حييّ بن أخطب لابن أختها وهو يهودي.[3]

---

عبد الرزاق أخبرنا معمر قال أخبرني الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان، يحكى عن واقعة صلح الحديبية، جاء فيه: (... فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم). أنظر:(البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423هـ2002-م، ص670). (حديث رقم: 2731-2732).

(1) روي **البخاري في كتاب** المغازي، عن جبير بن مطعم، أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال في أساري بدرٍ: (لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له)، أنظر: :(البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، س. ذ.، ص986). (حديث رقم: 4024).

(2) قال شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضى الله عنه، يبكي ويرثي، المطعم بن عدى، في قصيدة، من أبياتها:

**(أيا عين فابكي سيد القوم واسفحي — بدمع وإن أنزفته فاسكبي الدما**

**وبكي عظيم المشعرين كليهما — على الناس معروفا له ما تكلما**

**فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً — من الناس أبقى مجده اليوم مطعماً).**

**أنظر**: (ابن هشام، عبد الملك، **سيرة ابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة2، 1375هـ - 1955 م، القسم الأول، ص380.

(3) جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد، ما نصه: (أخبرنا محمد بن عمر، حدثني هارون بن محمد بن سالم مولى خويطب بن عبد العزى عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: ورثت صفية مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض فأوصت لابن أختها، وهو يهودي، بثلثها)، أنظر: (بن سعد، محمد، الطبقات الكبرى (طبقات ابن سعد)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1968، ج8، ص 128.)

- إنّ الولاء والبراء من الكفار ليس نظير كفرهم وعدم إيمانهم، أي كونهم كفاراً، فقد حالف النبي وناصر غير المشركين، ووقع وثيقة المدينة، التي نصت صراحة على المولاة والنصرة بين مكونات المجتمع المدني (سكان المدينة)، من مهاجرين وأنصار ومشركين ويهود، وإنّما الولاء والبراء منهم من غير المسلمين ناجم عن عارض العداوة والخصومة معهم في الدين.
- هناك فارق كبير بين مسألة الولاء والبراء، والحكم على إيمان المسلمين وإسلامهم، وفي كل الأحوال سواءً أكانت للمسلمين علاقة ما بغيرهم أو لم تكن، وسواءً نصرهم أو لم ينصرهم، فإن مسألة الولاء والبراء ليست مدار الكفر والإيمان، ومدراه القبول والرضا بدينهم، وهذا هو الحرج، فمن رضي وقبل بعقائدهم قلبياً، فهو في حرج شديد سواءً ولائهم ونصرهم أو لم يفعل، أما مجرد الولاء والنصرة فقط، فلا يدخل في إطار الكفر والإيمان، إلّا إذا رضي بالكفر، وقصة حاطب ابن أبي بلتعة الصحابي البدري[1]

(1) روي البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث التالي: (حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع يقول: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد. فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة قلنا لها: أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب قال: فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ

رضى الله عنه، وكتابه لقريش خير دليل على ذلك. فقد كان الدافع من وراء عمله ليس الرضا بدين قريش، بل الحرص على أهله وماله بمكة، فقد كان امرؤ لصيق بها، وليس له قرابات تحفظ له أهله وماله بمكة كباقي المهاجرين. وهذه الحادثة في مجملها تكشف عن أهمية التفريق عند النظر في حقيقة أفعال العباد، وعدم إدخالها في دائرة الكفر والإيمان، إذا كان حاديها وباعثها دافع فطري أو دنيوي مصلحي، وليس ديني، كمسألة الخوف من المخاطر الدنيوية، فباعثه فطري، وليس الخوف من الله تعالى، لافتقاره لجانب القداسة وارتباطه بالأسباب الطبيعة الظاهرية.

## المبحث الثالث

# مسألة التمكين

يسعى البعض من أجل التمكين إلى استخدام وسائل وأدوات العنف حداً يُبرر لهم القيام بأعمال عنف إرهابية، وهم عند قيامهم بتلك الأعمال يبررون سعيهم ذلك عقلياً ومنطقياً بالحاجة للتمكين، أي من أجل التمكين في الأرض، باعتبار أن ذلك العمل جاء بدافع الضرورة وتمليه الحاجة لخدمة ونصرة الدين، فالتمكين السياسي يأتي هنا من

---

عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد صدقكم. فقال عمر يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله السورة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق إلى قوله فقد ضل سواء السبيل)، أنظر: (البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423هـ2002م، ص1046). (رقم الحديث:4274).

أجل نصرة الدين وخدمته، ويرى العقل الإسلامي المعاصر في الاستيلاء على السلطة وسيلةٌ غايةٌ في الأهمية لخدمة الدين ونصرته،[1] ولعل هذا يذكرنا بالقول الشهير لعثمان بن عفان رضي الله عنه:

(1) في الحقيقة، بالرجوع لأدبيات الفكر الإسلامي السياسي المعاصر، نجد بين أيدينا، تصورًا فكريًا اشد انغلاقًا من هذا التصور، حيث يري الكثيرون من أنصار الإسلام السياسي، أن مهمة الأمة الإسلامية الأصلية، هي تبوؤ مكانة القيادية السياسية والحضارية للعالم أجمع، وبتعبير سيد قطب أستاذية العالم، وعند الشيخ حسن البنا فإنّ المسلمين أستاذة البشرية وأوصياء على البشرية القاصرة، وهذا يعطيهم حق الهيمنة والسيادة، (أنظر: البنا، حسن، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، أكرا-غانا، أفريقيا للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ-2007م، ص 34.)، وهذا الأمر ليس له ما يدعمه نظرياً (شرعياً)، ولا واقعياً (حال الأمة اليوم مقارنة بالتقدم لدى الأمم المتقدمة)، وبالرجوع لهدي الأنبياء عليهم السلام نجد أن مهمتهم دعوية تبليغية وليست سياسية أو حضارية، والتسليم بهذا الأمر يعني أن الكثير من الأنبياء لم يوفقوا في إنجاز هذه المهمة المكلفين بها، فهم لم يتسنى لهم بلوغ مرتبة القيادية السياسية أو الغلبة الحضارية، الأمر الذي لم يكن هدف وغاية إرسالهم، لأنهم قد أرسلوا لمهمة أساسية هي تبليغ رسالة الله لعباده، وتنتهي مهمتهم بكل نجاح استناداً على هذا المعيار فحسب، أم التمكين السياسي، فيظل رهيناً بأحوال المبلغين، ومدى استجابتهم مع دعوة الأنبياء والرسل، ولا يمكننا اعتبار التمكين السياسي مقياس على إنجاز الأنبياء لمهمتهم، قال تعالي: (مّا على الرّسُولِ إِلّا الْبلاغُ واللّهُ يعْلمُ ما تُبْدُون وما تكْتُمُون)، سورة المائدة، الآية:99، والأمة الإسلامية اليوم منوط بها ذات المهمة التي كلف بها الرسل والأنبياء سابقاً، وهي تبليغ رسالة الله (القرآن الكريم)، هداية للخلق كافة، نيابة عن النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث رحمة للعالمين، قال تعالى: **﴿وفِي هٰذا لِيكُون الرّسُولُ شهِيدًا عليْكُمْ وتكُونُوا شُهداء على النّاسِ﴾**، سورة الحج، من الآية:78، إنّ المهمة الأساسية للأمة المحمدية هي الدعوة والتبليغ. والمطلع على سيرة وحياة بعض أعلام الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، يبرز له العديد من القيادات والرموز الدينية المشهورة، التي اعتبرت مسألة التمكين والظهور السياسي، ذات أولية أساسية، بل أنها اعتبرت ميدان العمل السياسي، هو الميدان الأولي بصرف الجهود وتقديم التضحيات، كالإمام جمال الدين الأفغاني، الذي ظل متمسكًا بالعمل في الميدان السياسي رغم ما تلاقه من إخفاقات، وما ضاع منه من فرص، لعل أبرازها عدم استجابته لدعوة الإمبراطور الياباني التي أرسلها للسلطان عبد الحميد يطلب الإمبراطور فيها إرسال دعاة لنشر الإسلام بين اليابانيين، ولو تم ذلك لكان لليابان مسار وتاريخ آخر، فلقد ظل الأفغاني يدعو صراحة إلى الثورة على الحكام في كلا من مصر وتركيا، رغم هجرة وتخلى أهم تلاميذه، عن مسار العمل السياسي كالشيخ محمد عبده، الذي غير مسار عمله بعد خوض التجربة وإعادة

(إن الله ليزع بالسلطان ما ليزع بالقرآن).[1]

غير أنه يغيب عن الكثير من المسلمين المعاصرين، أن مسألة التمكين ترد في القرآن باعتبارها وعدًا إلهيًا يمُن الله تعالى على عباده المؤمنين، متى شاء ذلك، قال تعالى:

**﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**.[2]

فلا يوجد في القرآن الكريم ولا السنة النبوية المطهرة، ما يأمر المسلمين بالسعي للاستيلاء على السلطة بوصفه مطلبًا دينيًا، بل على النقيض من ذلك، فالأمر إي مسألة تولى السلطة والحكم السياسي هو أمر إلهي محض، ويضاف إلى ذلك، أن مسألة تولي السلطة السياسية عموماً (الملك) أمر يخضع للسنن الكونية البحثة، ولا يقوم على مجرد دعوى الاستحقاق أو الأولوية (الخيرية)، كما أنّ السلطة السياسية تعد نتاج للمجتمع والبيئة وليس شيئا يمكن استيراده وزرعه في تربة تستهجنه وترفضه، ولهذا جاء في الأثر: (أعمالكم عمالكم كما تكونوا يولّى عليكم)،[3] والمعنى يتضمن الإشارة إلي أنّه لا يستقيم الأمر للحاكم إذا

---

التفكير والتخطيط، ليتفرغ لميدان العلم والتعليم. يُظر: (خان، وحيد الدين، **المنهج الرباني في الدعوة إلى الله**، تونس، مكتبة الجديد، 1988م، ط1، ص 108-109).

(1) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مجموعة من المحققين، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، 1387هـ، ص118.

(2) **القرآن الكريم**، سورة النور، الآية 55.

(3) رغم الاختلاف على صحة هذا الأثر، ولكن أقل ما يقل فيه أنه صحيح المعنى، فمعناه

ما كانت بيئة المجتمع المحيطة به (الرعية) لا تتلاءم معه، وربما تلفظه، فوجود فرد أو مجموعة صالحة، حتى لو كانت على رأس السلطة، فأنها ستفشل وتعجز عن إصلاح حال الناس، ما لم يكونوا على استعدادٍ للإصلاح، ولا يمكن التعويل على القوة والقانون والنظام، من أجل إصلاحهم، بل أن ذلك لا يولّد إلا مجتمعًا منافقًا، يخضع ظاهرياً لتعاليم

---

أن الله يولي على الناس على حسب حالهم، وهذا الأثر وإن لم يكن صحيحا مرفوعا إلى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكنه صحيح المعنى، اقرأ قول الله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾، سورة الأنعام، الآية :129، أي: نجعل الظالم فوق الظالم، بماذا؟ بما كانوا يكسبون فإذا ظلمت الرعية سلطت عليها الرعاة، وإذا صلحت الرعية صلح الرعاة، وكذلك بالعكس: إذا صلح الراعي صلحت الرعية، قال الإمام الطرطوشي: «لم أزل أسمع الناس يقولون: « أعمالكم عمالكم كما تكونوا يولى عليكم»، إلى أن ظفرت بهذا المعنى في القرآن قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا**﴾، سورة الأنعام، الآية:129)، وكان يقال: ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك. وقال عبد الملك بن مروان: ما أنصفتمونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم.» أنظر: الطرطوشي، سراج الملوك، الباب الحادي والأربعون في « كما تكونوا يولى عليكم «. انظر: (الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري، **سراج الملوك**، مصر، من أوائل المطبوعات العربية، ط1، 1289هـ-1872م، ص 116.). ونص الباب (لم أزل أسمع الناس يقولون: أعمالكم عمالكم، كما تكونوا يولى عليكم، إلى أن ظفرت بهذا المعنى في القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً**﴾ (الأنعام: 129). وكان يقال: ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك. وقال عبد الملك بن مروان: ما أنصفتمونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرتهما، نسأل الله أن يعين كل على كل. وقال قتادة: قالت بنو إسرائيل: إلهنا أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف نعرف رضاك من سخطك؟ فأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائهم: إذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم، وإذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم. وقال عبيدة السلماني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ما بال أبي بكر وعمر انطاع الناس لهما، والدنيا عليهما أضيق من شبر فاتسعت عليهما ووليت أنت وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا لكما، وقد اتسعت فصارت عليكما أضيق من شبر؟ فقال: لأن رعية أبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان، ورعيتي أنا اليوم مثلك وشبهك! وكتب أخ لمحمد بن يوسف يشكو إليه جور العمال، فكتب إليه محمد بن يوسف: بلغني كتابك وتذكر ما أنتم فيه، وليس ينبغي لمن يعمل المعصية أن ينكر العقوبة، ولم أر ما أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب، والسلام؟). انتهى.

الدين وأحكامه، ولا يقيم لها وزناً على وجه الحقيقة، وإذا ما خلا المرء بنفسه لم يتوان عن انتهاك ما حرم الدين وصار أقرب لانتهاك محارمه، وهذا النوع من التقيد والالتزام بأحكام وتعاليم الدين لا يساوي عند الله شيء، فمنبعه الخوف من القانون والعقوبة والنظام وسطوة الدولة، وليس الخوف منه تعالى، مرد الفلاح والنجاح.

لقد غاب عن العقل الإسلامي السياسي المعاصر لدى تيار عريض من المنتمين له ورموزه، أنّ الإصلاح السّياسّي لا يقوم على مجرد تغيّر الأشخاص أو القيادات، فالقيادة السّياسّية تعمل انعكاساً على البيئة المحيطة (الظّروف والأحوال)، وتتأثر أيما تأثر بالمجتمع الذي تترأسّه، ويبقى صلاحها أمراً نسبياً غير كافٍ للتغير حين يكون الفساد قد استشري في المجتمع، وهنا يكون التغيير مطلوباً ليس في المجال السّياسّي وحده، بل إن المجتمع ككل يحتاج إلى التّغيير، وحين يعّم المجتمع الفساد والتخلف، لا يمكن لفرد مهما أوتي من قدرات، القضاء على ذلك الفساد والتّخلفّ بمجرد توليه منصب القيادة، وغياب عوامل أساسية أخرى، تساعده على التغيير أو الإصلاح، وإلا سيظلّ ذلك الشخص العضو الغريب عن المجتمع الذي بدوره يجهد من أجل التخلص منه ولفظه في كل لحظة، وهناك نماذج متعددة عبر التّاريخ، تبين أنه لا جدوى من تبوء أناس صالحين مقاليد السّلطة، ما لم يجدوا في المجتمع المعين لهم، فما بالك إذا حصل العكس، وكان المجتمع مناصباً لهم العداء، وعلى أتم الاستعداد للكيد والسعي حثيثاً للتّخلصّ منهم مهما بلغوا من درجات الصّلاح والتّقوى، وفي مثل تلك الظّروف والأحوال التي عاشها الإمام العادل عمر بن عبد العزيز، فاستدعت منه أن يدعو ربه أن يعفه من منصب الإمارة، قائلاً:

(اللهُمَّ إِنِّي قد مللتهم وملّوني فأرحني مِنْهُم وأرحهم مني فَمَا عَاد إِلَى الْمِنْبَر ثَانِيَة حَتَّى قَبضه الله عز وجل).[1]

لذلك لا يمكننا التّعويل على إصلاح المجتمع، بمجرد الاستناد لقوة الدولة والقانون، وإغفال أمراض المجتمع وأحواله وظروفه، وتبسيط مشكلاته وحصرها في جهة أو جماعة ما، أو الظّنّ بأن المشكلة تكمن في السّلطة السّياسّية دون غيرها، ونغفل الجوانب الهامّة الأخرى، ولعل هذا ما أشار إليه أحد العلماء والمفكّرين الإسلامّيين مصطفي محمود، في كتابه «**قراءة للمستقبل**» واصفاً عمق المشكلة التي تمر بها مصر وتشاركها أغلب الدّول العربّية الإسلامّية، بالقول:

« مشكلة مصر لا يحلها استبدال شخص بشخص... فالعيب في المناخ وفي مستوى الوعي.. العيب في النّاس صغارهم وكبارهم.. العيب في التعليم الهابط وما يفرزه من عقليّات هابطة...العيب في الروح السلبية والكسل وعدم المبالاة وعدم الانتماء، العيب في ثقافة التسلية وقتل الوقت...ليس الثّورة ولا الانقلاب ولا استبدال الكراسي.. وإنما إيقاظ الضّمائر وتحريك القلوب في موات القيم، لتصبح النفوس غير

(1) (ولما كان قبل وفاة عمر بن عبد العزيز توفي أخوه سهل وولده عبد الملك ومولاه مزاحم وكانوا أعوانه على هذا الأمر فخرج فخطب الناس فأمرهم بشيء مما يصلحهم فكأنهم تثاقلوا عنه، واغتم لذلك ثم انصرف ودخل وذلك يوم الجمعة وكان يدخل عليه بنوه فيستقرئهم القرآن بعد الجمعة فدخلوا عليه كما كانوا يدخلون فاستقرأهم فقرأ أولهم: ( طسم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (2) لعلّك باخِعٌ نّفْسك ألّا يكُونُوا مُؤْمِنِين (3) إِن نّشأْ نُنزِّلْ عليْهِم مِّن السّماءِ آيةً فظلّتْ أعْناقُهُمْ لها خاضِعِين (4)، فقال لقد عزاني الله على لسان ابني هذا وتجلى عنه بعض غمه وقال اللهم إني قد مللتهم وملوني فأرحني منهم وأرحهم مني، فما عاد إلى المنبر ثانية حتى قبضه الله عز وجل. (انظر: ابن عبد الحكم، عبد الله، **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، بيروت، عالم الكتب، 1984، ط 6، ص 99.).

النفوس، وهذا هو الشرط الوحيد الذي شرطه علينا ربنا ليغيرنا..أن نتغير من داخلنا. لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.»[1]

لقد أدرك الكثير من المفكّرين والمثقفين العرب، عمق الأزمة التي تمّر بها المنطقة العربّية والثّقافة العربّية والإسلامّية، وأنها تحدٍ في وجه الأمّة ككل وليس شريحة معينة، فهذا المفكر الجزائري مالك بن نبي[2] منذ وقت مبكّر، يعرب عن عمق أزمة العقل العربّي والإسلامّي، وإنها أزمة وإشكال حضاري مرتبط بالإنسان والثّقافة والتربية، ومؤخراً ظهر عمل المفكر المغربي محمد عابد الجابري[3] من خلال مشروعه الفكري، كدليل على عمق تلك الأزمة، وأنها وليدة للعقلية أو آليات التفكر لدي العقل العربّي.

---

(1) محمود، مصطفى، **قراءة للمستقبل**، القاهرة، دار أخبار اليوم، 1997، الطبعة الثانية، ص 78-80.

(2) **مالك بن نبي (1905-1973م)**:- يُعدّ المفكر الجزائري مالك بن نبى أحد رُوّاد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، ومن أكثر المفكّرين المعاصرين الذين نبّهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة، للخروج من التخلف إلي التنمية، فدرس أسباب التخلف وصفاً لها، من اجل تحقيق التنمية، التي يفتقر إليها نصف الكرة الجنوبي، فالمشكلة لديه ليست مجرد مشكلة سياسية أو الاقتصادية..الخ، رافضاً النزعة الذرية، التي تلخص المشكلة في جانب جزئي محدود. وقد كانت جهود مالك بن نبي في بناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموما متميزة، سواء من حيث المواضيع التي تناولها أو من حيث المناهج التي اعتمدها في ذلك.

(3) **محمد عابد الجابري** (1936 - 2010):- مفكر وفيلسوف مغربي، له حوالي 30 مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها: «رباعية نقد العقل العربي»، والتي تكونت من أربعة إصدارات رئيسية كانت باكورة أعمال الجابري، أعطى فيها للعقل دوراً محورياً في إعادة قراءة العقل العربي.

ولعل التناول السابق يدفعنا للقول أن الإشكال الأساس ليس غياب القلّة الحاكمة الراشدة بقدر ما هو غياب الحاضنة لها أو غياب المجتمع الراشد، وهو ما توفر في العهود الأولى الراشدة، وغاب لاحقاً.

## الفصل الرابع

# إعادة تشكيل العقل الإسلامي

يطرح هذا الفصل معالجة لظاهرة الإرهاب الديني، من خلال الغوص والكشف عن منطلقات فكرية تقدم معالجة للعقل الإسلامي السياسي المعاصر القائم على منطلقات وأرضية مغايرة، والتي أَصَّلَتْ للعقل الإرهابي ومنحته الأرضية وقدمت له جملة من القيم التي شكلت منطلقات يستند عليها وينطلق منها، وقيماً يقوم عليها ويسعى للالتزام بها، ولا يعد هذا الفصل حصراً لكل المنطلقات الفكرية المستدعية للاستحضار وإعادة التوطين في الوعي والعقل الإسلامي المعاصر، لاسيما لدى الشباب المسلم المتحمس لخدمة الدين، ولكنها من الأهمية بحيث تسمح لنا بإعطائها الأولوية في العرض والتقديم، وهي في تقديرنا تعتبر الأهم في إعادة تشكيل وبناء العقل العربي والإسلامي المعاصر، وتشكل سبيلاً في الدفع نحو معالجة العقل الإسلامي مما قام عليه وعلق به من القيم والمنطلقات التي تبناها بوعي أو بدون وعي، لتنتهي به لدوامة من العنف والتطرف، وتقدم له كل ما يلزم من أجل تبرير الأعمال الإرهابية بدعوى الإصلاح وخدمة الدين، وهذه الدراسة تقدم منطلقاً بديلاً على المنطلقات الفكرية السائدة والحاكمة في آليات التفكير للعقل الإسلامي السياسي المعاصر، ويمكننا تناول ذلك على النحو التالي:

## المبحث الأول

# القضية المحورية

عندما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً مبلغاً لقومه في مكة، قام فيهم خطيباً، فقال:

«إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم ! إني رأيت الجيش بعيني، وإني **أنا النذير العريان ! فالنجاء**. فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»).[1]

ولقد جاء في سورة النجم ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما هي صفة إخوانه من الأنبياء صلوات الله عليه وهي الإنذار، وأنه صلى الله عليه وسلم ﴿**هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ**﴾[2]، قال ابن كثير:

«(أزفت الآزفة) أي: اقتربت القريبة، وهى القيامة.»[3]

---

(1) رواه **البخاري في صحيحه** (7283)، **كتاب** الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعث بجوامع الكلم، أنظر: (البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423هـ2002-م، ص1799.).

(2) **القرآن الكريم** ، سورة النجم، الآية 56.

(3) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض، دار طيبة، ط2، 1420هـ- 1999م، م7، ص 469.

ثم تعرض الآية التالية لقضية ومسألة الإنذار وهي الإنذار من يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾[1]،وقد علق ابن كثير في تفسير لسورة النجم، بالقول:

« (ليس لها من دون الله كاشفة) أي: لا يدفعها إذا من دون الله أحد، ولا يطلع على علمها سواه...

عن أحمد بن حنبل.. ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَى *أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾، فإنّ النذير الحذر لما يعاين من الشر، الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم، كما قال: (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، [سورة سبأ، الآية 46]، وفي الحديث: «**أنا النذير العريان**» أي الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئاً بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عرياناً مسرعاً وهو مناسب لقوله «أزفت الآزفة» أي اقتربت القريبة يعني يوم القيامة كما قال في أول السورة التي بعدها «اقتربت الساعة» [سورة القمر، الآية 1.]، ... قال أبو حازم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل الساعة كهاتين»، وفرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال «مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان» ثم قال «مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه[2] أتيتم أتيتم» ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا ذلك» وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحسان»[3].

(1) **القرآن الكريم**، سورة النجم الآية 57.
(2) ألاح الشّخْصُ بثوبه: أخذ طرفه بيده ثمّ أداره ليراه غيره من مكان بعيد، أشار به.
(3) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** (تفسير ابن كثير)، س. ذ.، م7، ص 469.

وفي الحديث السابق يصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بـ**(النذير العريان)**، لقومه من عذاب يوم القيامة، عذاب يوم عظيم، تلك كانت القضية التي انطلق منها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، فمع وجود الكثير من القضايا والمسائل الهامة في الحياة المكية وحياة وواقع العرب المعاش في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، لكن تلك القضايا لم تستهوي النبي صلى الله عليه وسلم لينبري خطيباً من أجل التنبيه إليها والحديث عنها وعرضها، كالمظالم الاجتماعية أو الاقتصادية أو غير ذلك، فقد كانت تشغله قضية الإيمان بالله واتقاء عذاب يوم شديد، وبعد أن قضى النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه في مكة ثلاثة عشرة سنة وهي فترة الدعوة المكية، والتي لقي فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه من أصحابه رضوان الله عليهم، كل أصناف التكذيب والأذى، وبلغ الأمر بكفار قريش لاستنفاد كافة الوسائل من أجل القضاء على دعوة الرسول الكريم، بما في ذلك الإغواء والإغراء كعرضهم له بمنحه الملك والسيادة عليهم وجعلهم إياه أكثرهم مالاً، ولكنه صلى الله عليه وسلم ظل مهموماً بدعوته وقبول الناس لها، وإنقاذ أنفسهم من عذاب الله الشديد، مع ما اعتراه من الحزن الشديد على من كذبه ورفض دعوته، فوصفه القرآن الكريم بقوله:

**﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾**.[1]

مصوراً حال النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يكاد يقتل نفسه من الحزن، على الكفار الذين لم يؤمنوا بدعوته ولم يتقوا عذاب يوم شديد،

(1) **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية 6.

وما يغيب عن الكثير، أنه صلى الله عليه وسلم رغم ما لقيه من كفار قريش وبعض كفار العرب من التكذيب طيلة الفترة المكية، ظلت تحركه نفس القضية، وهي قضية الآخرة التي شكلت بالنسبة له كما لإخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام القضية المحورية، ولم يتغير خطابه ليصاغ تحت تأثير ما تعرض له وأصحابه من تكذيب واضطهاد وأذى، بل استمر مشغولًا بتلك القضية الكبرى والخطيرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، واصفاً لحظة الحساب والوقوف بين يدي الله في الآخرة، وليس بين الإنسان وربه من وسيط ولا مترجم:

« ثم ليقفنّ أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى. ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثمّ عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة)[1].

والعجيب العجيب أنه بمجرد وصوله للمدينة المنورة مهاجراً فاراً بدينه من اضطهاد مشركي قريش، قام في الناس خطيباً، في أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، يذكر ابن هشام في سيرته:

« عن أبي سلمة بن عبد الرحمن – نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل – أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: أما بعد ، أيها الناس، فقدموا لأنفسكم. تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، وليس

(1) الحديث رواه **البخاري** في صحيحه، **كتاب** الزكاة، **باب** الصدقة قبل الرد، أنظر: (البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423هـ2002-م، ص343).

له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالاً فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».(1)

إن القضية الأساسية والمحورية التي شغلت النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن قضية دنيوية وقتية، فلم يكن رفع الظلم الاجتماعي أو الفساد الاقتصادي أو السياسي، هو المحرك الأساس لعمله وتخطيطه صلى الله عليه وسلم، وعلى المسلم الداعي الراغب في الاقتداء بسنته والعمل على منهجه وهديه جعل محور عمله يدور على ذات القضية التي شغلت نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وهى قضية الآخرة، وينأى بنفسه عن الانشغال بالقضايا والمسائل الوقتية الدنيوية، ولا يجعلها محور تفكيره وعمله مهما بلغت أهميتها.

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم معنيًا بتحقيق أي مكاسب أو مناصب دنيوية مما بدأت ذات وجاهة وأهمية كالسيادة أو الملك.. الخ. والملك والسيادة متعلقة بمسألة التمكين، وهذا لا يعني أن مسألة التمكين مسألة غير ذات أهمية ولكنها تحكمها آليات ومقتضيات أخرى. وهذا ما سبق تناوله.

(1) ابن هشام، **سيرة ابن هشام**، فصل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، باب أول خطبه عليه السلام. أنظر: ابن هشام، عبد الملك، **سيرة ابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة2، 1375هـ - 1955 م، القسم الأول، ص 501).

## المبحث الثاني

# استحضار روح الحديبية

إنّ حادثة الحديبية تمثل دلالة هامة ومفرقًا هامًا في مسيرة الدعوة الإسلامية، وقد سماها القرآن الكريم بالفتح المبين، قال تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.[1]

ولكن تلك الحادثة الفارقة لا تتبوأ المكان المناسب لها في العقل الإسلامي، وعند الحديث على الفتح والنصر يتبادر للعقل الإسلامي، الانتصارات العسكرية، أو الغلبة الظاهرية، كفتح مكة المكرمة، ولهذا جاء في الأثر، عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال:

«تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية..»[2]

فالمراد بالفتح هنا صلح الحديبية، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع

(1) القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية: 1.

(2) روي البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم (3919): (حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا). أنظر: (البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، س. ذ.، ص1022).

الحرب وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك كما الحال مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما، ثم تبعت الأسباب بعضها بعضاً إلى أن تم الفتح المبين، وقد ذكر ابن إسحاق في المغازي عن الزهري قال: لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه ، وإنما كان الكفر حيث القتال، فلما أمن الناس كلهم كلم بعضهم بعضا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئا إلا بادر إلى الدخول فيه ، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. قال ابن هشام : ويدل عليه أنه - صلى الله عليه وسلم - خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف.[1]

إن صلح الحديبية جاء في إطار منهج وخطة التزم بها النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم, منذ اليوم الأول في انطلاق دعوته، وهذه الخطة تقوم على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر على الأذى والدفع بالتي هي أحسن ودرء السيئة بالحسنة، وتحويل العدو إلى ولى حميم، أمّا استخدامه صلى الله عليه وسلم للقوة أو العنف أو السيف فلم يكن خيار فضله على غيره، بل كان سبيلاً وحيداً أمامه، فإما أنّ يحمل السيف وإمّا أنّ يتم القضاء عليه وجماعته ودعوته، ولهذا لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم متلهفاً وراغباً في القتال بل قاتل قتال الشخص الكاره للقتال، تقول **لورا فيثيا فاغليري** أستاذة اللغّة العربّية وتاريخ الحضارة الإسلامّية في جامعة نابولي الايطالية:

---

(1) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار الريان للتراث، بلا طبعة، 1407هـ - 1986م، ج3، ص 506. (في شرح حديث البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية).

« النبي، كرجل موحى إليه، اعتاد مخاطبة أهل مكة بخبر السماء، مما تتطلّب التحلي بالصبر على الأذى والشعور بالارتياب منه. وعندما اتخذ قراره الصعب بالهجرة إلى المدينة، وبالتالي لتصبح المدينة مركز صراع سياسي، كان عليه أن يختار بين الموت مغموراً، بما لا يتفق مع تدبير الله، أو القتال لإنقاذ نفسه ومجتمعه الصغير من الفناء. كان الكفاح بين الفوضوية، والماديّة الوثنية البربرية، ومشاكسات وأكاذيب اليهود المتحضرين غير المتسامحين من جهة، ومثالية للتجديد الدّينيّ والاجتماعي من جهة أخرى.

كان ذلك هو المثل الأعلى الذي أراد محمد [صلى الله عليه وسلم] تحقيقه بأي ثمن، وقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة، كرجل لديه القليل من الرغبة للقتال، ومجبراً على محاربة أولئك الذين أرادوا تدميره بالقّوة. وهذا ما فعله بقليل من العون، ولكن مع العزم الأكيد بأنه كان يفتح الطريق لإبلاغ الحقيقة لكثير من الأرواح، لأنه كان مكلفاً بإرشادهم إلى الطريق الصحيح في وسط الظلام.»[1]

لقد أسهب القرآن الكريم في بيان واقعة الحديبية، وخصص لها سورة كاملة، وبالرجوع لآيات تلك السورة والتفاسير المأثورة وكتب الحديث والسير، حول واقعة الحديبية، يتبين لنا بوضوح، أن الفتح الحقيقي عند الله لا يتم من خلال الانتصارات العسكرية والميدانية، بل يتم بدخول الناس في دين، فانتصار الدين محله الاستيلاء على القلوب والأفئدة، وليس الاستيلاء على أسوار المدن والقلاع، ذلك أنّ غلبة الدين هي في

(1) VAGLIERI, Laura Veccia, **An Interpretation of Islam**, New Delhi, Good ward, First Edition, 2004, pp.23-24.

خضوع الناس لربهم والخضوع له بقلوبهم وأبدانهم، وليس في غلبة طائفة ما على أخرى، فتلك غلبة قومية طائفية، لها بواعثها الخاصة.

إن الأرضية الملائمة لنشر دين الله تعالى وإظهاره هي أرضية وبيئة السلام البعيدة عن العصبية والحمية، وهي البيئة التي افتقرت إليها الدعوة الإسلامية، في بدايتها، وجاء صلح الحديبية ليبعثها من جديد، إن سلاح الدعوة هو حسن المعاملة والحكمة والحث على استخدام العقل والتفكير والاعتبار، كما هو الحال في الخطاب القرآني، ولكن الداعية والمدعو سيكونان بعيدين عن تلك الأرضية المناسبة لأصحاب دعوة الحق، حال نشوب العداوة أو الخصومة بينهما، ويعنى ذلك دخول دعاة الحق في عداوة وخصومة مع المدعوين، ويتم المواجهة والصراع بين أصحاب دعوة الحق (المسلمين)، وغيرهم على أرضية لا يُحسن أصحاب دعوة الحق النزال والصراع فيها ولا يحسنون استخدام أدواتها بصورة فاعلة كما يفعل خصومهم، فأصحاب دعوى الخير عندما ينخرطون في مواجهة مع غيرهم على أرضية العداوة ستصبح الأدوات والوسائل المتاحة لهم جد محدودة، بحكم أن لديهم حدودًا في أطلاق الخصومة وشن العداوة، أما الطرف المقابل فلا يوجد ضمان يمنع تماديه في العداوة بلا حد وعقل، وبالتالي قد يقحم أصحاب الدعوة أنفسهم في ساحة يملكون فيها أسلحة محدودة، وأعدائهم يتسلحون بكل الأسلحة المتاحة فيها وبلا حدود، وعلى العكس من ذلك فإن نقل الخصومة والمواجهة إلى أرضية وميدان آخر وهو ميدان السلام، يكون أمام الداعية فرصة كبيرة للتأثير في المدعو، ويكون سلاحه أقوى فهو يقوم على الموعظة والحكمة وإعمال العقل والتفكير، وهذا المسلك هو ما يؤدى إلى نجاح صاحب دعوة الحق.

## المبحث الثالث

# فهم روح العصر

لا شكّ أن فهم العصر يعد من أكبر التحديات التي تواجه العقل الإسلامي المعاصر، وقد جاء في الأثر القول:

(وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ)[1].

إنّ البصيرة والمعرفة بالزمان إحدى أكبر التحديات التي تواجه العقل، وعند عجز العقل عن إدراك زمانه، فإنّه يظل يعمل ويخطط ويفكر في واقع يغيب عنه فهمه، فكيف يتأتي له القدرة على التخطيط السليم، ولقد وقع العقل الإسلامي السياسي المعاصر لدى تيار الصحوة بصورة واضحة في إشكالية كبرى حين غاب عنه البصيرة بالزمان، ولم يتمكن من فهم التحولات الكبرى التي عصفت بكل المفاهيم والمعاني والبني

(1) (الحديث مرفوعاً) أخبرنا أَبُو بكرٍ مُحمّدُ بنُ عبد الباقي ، أنبأنا أَبُو الحُسين ابنُ المُهنّديّ، أنبأنا الحسنُ بنُ أحمد بن عليٍّ الهمانيُّ، حدّثنا بكرٍ مُحمّدُ بنُ أحمد الشّمشاطيُّ، حدّثنا جعفرُ بنُ مُحمّدٍ الفريابيُّ، حدّثنا إبراهيمُ بنُ هشام بن يحيى الغسّانيُّ، حدّثنا أبي، عن جدّي، عن إدريس الخولانيّ، عن أبي ذرٍّ – رضي اللّهُ عنهُـ قال: قال رسُولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم: " أنزل اللّهُ – تعالى – على إبراهيم – عليه السّلامُ – عشر صحائف ". قُلتُ: ما كانت صُحُفُ إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كُلّها: أيُّها الملكُ المُسلّطُ المُبتلى المغرُورُ، إنّي لم أبعثك لتجمع الدُّنيا بعضها إلى بعضٍ، ولكن بعثتُك لترُدّ عنّي دعوة المظلُوم، فإنّي لا أرُدُّها وإن كانت من كافرٍ. وكان فيها: " وعلى العاقل ما لم يكُن مغلُوبًا على عقله أن تكُون لهُ ساعاتٌ: ساعةٌ يُناجي فيها ربّهُ، وساعةٌ يتفكّرُ فيها في صُنع اللّه، وساعةٌ يُحاسبُ فيها نفسهُ، وساعةٌ يخلُو فيها بحاجته من الحلال. وعلى العاقل أن لا يكُون ظاعنًا إلا في ثلاثٍ: تزوُّدٍ لمعادٍ، ومرمّةٍ لمعاشٍ ولذّةٍ في غير مُحرّم، **وعلى العاقل أن يكُون بصيرًا بزمانه** مُقبلا على شانه، حافظًا للسانه. ومن حسب كلامهُ من عمله قلّ كلامُهُ إلا فيما يعنيه"، أنظر: ابن الجوزي، جمال الدين بن محمد، **التبصرة لابن الجوزي**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1406 هـ – 1986 م، ص 567.

القديمة والتقليدية، فالعصر الحديث غير معاني كثيرة في مفهوم وشكل القوى والدولة وما يتعلق بها من مفاهيم سياسية كالمواطنة، ولم يعد من المقبول في العصر الحاضر، التمسك بمفاهيم وتصورات قديمة ذات طابع تاريخي أكثر من كونها ذات منزع ديني موحي به، بل أنّ الرجوع للمصدر للوحي يقدم لنا نموذجًا مغايرًا في كثير من الحالات، فيدعو مثالاً قسم من أصحاب التوجه الأصولي الإسلامي، لإحياء وإقامة نظام سياسي، على نمط النموذج التقليدي التي خبرته المجتمعات الإسلامية، في تاريخها، ولا يمكن اليوم بحال إقامة دولة على النمط التقليدي حيث يصنف فيها رعاياها على درجات متفاوتة[1]، والأهم من ذلك هو الاعتقاد

(1) بالرجوع لصحيفة المدينة، نجد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، اعتد بفكرة المساواة بالمواطنة بين جميع مكونات وسكان المدينة المنورة دون إي تميز على أساس العرق أو الدين، فالجميع سواء من مسلمين (مهاجرين-أنصار)، ويهود، ومشركي العرب، والرابط الجامع بينهم هم النطاق الجغرافي (سكان المدينة)، وهذا ما تقوم عليه الدولة الوطنية المعاصرة، ولم يطلب النبي من غير المسلمين في المدينة دفع جزية أو نحو ذلك، أو اعتبر أن لهم مرتبة دون المسلم بل الجميع (أمة واحدة من دون الناس)، كما جاء في نص الوثيقة. روى ابن هشام: قال ابن إسحاق :وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً، بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم:» بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: **إنهم أمة واحدة من دون الناس**. المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو **عوف** على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين **وبنو ساعدة** على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، **وبنو الحارث** على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، **وبنو جشم** على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. **وبنو النجار** على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، **وبنو عمرو بن عوف** على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. **وبنو النُبيت** على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها

بأنّ مصدر القوة الوحيد هو السيف أو البندقية والمدفع، متجاهلين ما

---

بالمعروف والقسط بين المؤمنين. و**بنو الأوس** على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه. وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن. وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم. وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس. وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم. وإن سلم المؤمنين واحدة،لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً. وإن المؤمنين يـبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه. وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن. وإنه من اعتبط مؤمناً قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول. وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه. وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف،وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ،وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بن عوف ،وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف،وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم. وإن لبني الشُطيبة مثل ما ليهود بني عوف. وإن البر دون الإثم وإن موالي ثعلبة كأنفسهم. وإن بطانة يهود كأنفسهم.

وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم . وإنه لا ينحجز على نار جرح. وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته، إلا من ظُلم. وإن الله على أبر هذا. وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم. وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه. وإن النصر للمظلوم. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم. وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله

يطرحه العصر من قوى جديدة لخدمة الدين من الإعلام والاقتصاد والعلم والتعليم والخدمة الاجتماعية، ولقد أدركت الكنيسة هذا التحول وأحسنت استخدامه بصورة فاعلة فتمكنت من خلال استخدام مصادر القوى العصرية الجديدة، تحويل قارة إفريقيا السوداء من قارة يكاد ينعدم فيها أتباع الدين المسيحي إلى أرض المسيح الجديدة، وبدل القيام بأعمال عسكرية لإقامة نظام مسيحي في منطقة معينة أو دولة ما، فإنها حولت أغلب دول القارة السمراء إلى دول مسيحية دون إطلاق رصاصة واحدة، بل من خلال التبشير والخدمة التعليمية والصحية والخدمات الاجتماعية المتنوعة. وفي المقابل نجد قيادات إسلامية كثيرة اختارت العمل في ميدان القوى العسكرية التقليدي، فخاضت الحروب والمعارك الواحدة تلو الأخرى، بدعوى نصرة الدين وإقامة الدولة الإسلامية، فقدمت قوافل جمة من التضحيات، وأنفقت أموال طائلة، ولكنها لم تحقق أي نجاح يذكر بل العكس، فإنّ ما توصلت إليه، هو الفشل والخذلان، فتولد على نضالها دول فاشلة، وانقسمت الدولة الواحدة إلى أكثر من دولة في

---

عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره. وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها. وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم في جانبهم الذي قبلهم. وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.-قال ابن هشام ويقال مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة-. وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه . وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم،وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم. وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم ). أنظر: ابن هشام، عبد الملك، **سيرة ابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة2، 1375هـ - 1955 م، القسم الأول، ص 265.

بعض الأحيان، بعد أن استعرت نار الحرب بين أبناء الوطن الواحد، وهو ما حصل في القارة الهندية، وما حصل في السودان ليس ببعيد.

## المبحث الرابع

# الواقعية لا المثالية

للإمام الطبري صاحب التفسير، قول في غاية الأهمية مفاده: (معنى «الحكمة» الإصابة في القول والفعل.)،[1] فقد يتقدم المرء بفكر أو تصور نظري يلقى استحسان وقبول المستمعين، وربما بصورة حماسية ومثيرة، ولكن يظل ذلك التصور ضرباً من الخيال، أو تصوراً غير قابل للتطبيق العملي، ولعل التنظير للنظرية الشيوعية، في أدبياتها التأسيسية لدى كارل ماركس خير مثال على ذلك، فجمال عرضه للنموذج الشيوعي استهوى القريب والبعيد، ليجد كارل ماركس قبولاً وأنصاراً لفكره في جميع أصقاع العالم، وتأسست الأحزاب والتنظيمات الشيوعية سراً وجهراً في مشارق الأرض ومغاربها، غير أن التجربة العلمية لهذا الفكر كانت جد مخيبة للآمال العريضة التي علقت على النظرية الشيوعية، والسبب وراء فشل التنظير الشيوعي، هو كونه تصور مثالي لا يتفق مع السنن الكونية والفطرة البشرية، ومصيره كمصير أي تصور مثالي، يبقى حبيس الصحف والأسفار، أو حلم سابح في أذهان المتعلقين به، والعقل الإسلامي المعاصر يعاني من سيطرة النظرة المثالية، عند تصور عالم خالي من

---

(1) قول الإمام في تفسير سورة البقرة، الآية 269، قوله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الحِكْمَةَ من يشاءُ ومن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقدْ أُوتِيَ خيْرًا كثِيرًا وما يذّكّرُ إِلّا أُولُو الْأَلْبابِ**﴾، أنظر: (الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م، ج5، ص597).

الظلم والفساد، فهو يتحدث عن نظام خلافة راشد، على هدى النبوءة، ويتصوره عالم غاية في المثالية، أنّه عقل ينشد عالم فاضل من منظور مثالي، ورغم أنّ الحلم بإيجاد مجتمع الفضيلة تصور راود الكثير من المفكّرين والمنظرين والكتاب، ونجده حاضراً بقوة في الفكر اليوناني القديم في المدينة الفاضلة والفكر الإسلامّي الوسيط لدى الفارابي والفكر السياسي المسيحي عند أوغسطين وحَتَّى الاشتراكيين الفابيين والماركسيّين الذين حلموا بالدّولة الفاضلة، ومع ذلك لم يكتب له يوم أن يصبح واقعاً معاشاً.

إنّه يتعذر علينا أيجاد مجتمع راشد خالي من الفساد والظلم وهو أمر لم يتحقق على مر التاريخ البشري، ولكنه ظل حلماً ملهماً بلا شك، إن فكرة بلوغ مجتمع مثالي وملتزم بالقوانين والأحكام الإلهّية، كما يتصوره العقل الإسلامي المعاصر، أمر لم يعرف أبداً عبر التّاريخ البشريّ كله، ولم يحظ الإنسان بفترة أو مرحلة تاريخيّة مثالية، على مستوي الجماعة أو الأمّة أو الدّولة، لقد بدأ الظلم والقتل والاعتداء وسفك الدماء منذ أن وطأت أقدام بني آدم الأرض، ليبقى ذلك سنة في ذريته إلى يوم الدّين، وهو الأمر الذي اقتضته حكمة الله في الخلق، وتعجبت منه الملائكة،[1] ولكن خلق الإنسان ومنحه إرادة مستقلة هو السبيل الوحيد لإجراء الاختبار لمعرفة الإنسان على حقيقته الفاجر والتقي، وحتي ما حدث في المرحلة الأولى للإسلام أو ما يعرف بـ(العصر الذهبي)، لا يرقى إلى المثالية (المدينة الفاضلة) رغم ما تمثله تلك المرحلة بدون شكّ

(1) المقصود قول الملائكة الذي سجله القرآن في سورة البقرة، الآية 30، قوله تعالى: ﴿إذ قال ربُّك للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً قالُوا أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدّماء ونحنُ نُسبّحُ بحمدك ونُقدّسُ لك قال إنّي أعلمُ ما لا تعلمُون﴾.

من صورة أفضل مقارنة مع كافة مراحل التّاريخ الأخرى. ففي حياة النبي صلى الله عليه وسلم، راجت النشاطات العدوانية (العدائية) للمنافقين بين المسلمين واليهود داخلياً، ومشركي العرب في الجزيرة خارجياً، ولم تشهد المدينة المنورة مأوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أية علامات واضحة على أنها تحولت إلى منطقة سلام.

وبعيد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تمّ اختيار الخليفة الأول أبا بكر الصديق (رضي الله عنه)، كقائد للمسلمين لتثور عليه معظم القبائل العربّية، والتي لم ترضخ إلاّ بعد استخدام القّوة لإعادة السيطرة عليها. وهكذا تظهر في كلّ مرحلة تطورات غير مرغوبة لتشكل عقبة أمام قيام المجتمع الفاضل. وخلال فترة الخلافة الثّانية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عملت مجموعة سرية في المدينة على اجتثاث الإسلام، وتمكنت في نهاية المطاف من اغتيال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفى عهد الخليفة الثّالث عثمان بن عفان رضي الله عنه انطلق سيل المعارضة المفتوحة (الشعبية)، وتمّ بصورة مشابهة قتل الخليفة الراشد علانية. أما في فترة حكم الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقد اندلعت الفتنة الكبرى التي ذهب فيها آلاف من الأنفس الغالية وأدت لمقتله هو نفسه رضي الله عنه. ونظرا لتلك الأحداث والوقائع التاريخيّة، وما تعكسه من مآسي مستمرة، تشكلت نظرة متشائمة للتاريخ البشريّ.[1] وفي عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذي اعتبرت خلافته تحقيقاً لنبوءة، روي البيهقي في دلائل النبوءة عن ابن عمر قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: إن من ولدي رجلاً بوجهه شين

(1) KHAN, Wahiduddin, **The Creation Plan of God**, 2013, Goodword, New Delhi, P.5-6.

يلي فيملأ الأرض عدلاً. قال نافع من قبله: ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز. [1] قال: أبو داود الطيالسي: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، حدثنا عبد الله بن دينار، قال : قال ابن عمر: يا عجباً! يزعم النّاس أن الدنيا لا تنقضي حَتَّى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر. قال: فكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر قال: وكان بوجهه أثر، فلم يكن هو، وإذا هو عمر بن عبد العزيز وأمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب،[2] ، وقال وهب بن منبه إن كان في هذه الأمّة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز،[3] ووصف بحق نظير أعماله وصلاحه بخامس الخلفاء الراشدين عند أغلب العلماء والمفسرين، حتى نعت بخامس الخلفاء الراشدين، إلا انه مع ذلك كله وجد صعوبات جمة في إجراء العديد من الإصلاحات وكان يؤجل الكثير منها أو يمتنع عن القيام بها، روي بن أبي الحكم أنه:

«لمـّا ولى عمر بن عبد العزيز قال له أبنه عبد الملك: إني لأراك يا أبتاه قد أخرت أموراً كثيرة أحسبك لو وليت ساعة من النهار عجلتها. ولوددت أنك قد فعلت ذلك، ولو فارت بي وبك القدور. قال له عمر: أيْ بني إنك على حسن قسم الله لك، وفيك بعض رأي أهل الحداثة.

(1) البيهقي، أبي بكر احمد بن الحسين، **دلائل النبوءة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988، الطبعة الأولي، ج6، ص492.

(2)ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، دار عالم الكتب، بيروت، 2003م، 1424هـ، ج12، ص686.

(3) التبريزي، محمد بن عبد الله، **الإكمال في أسماء الرجال**، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولي، 2005م، ص 80، (رقم الحديث 652).

والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئاً من الدّين إلا ومعه طرف من الدنيا، أستلين به قلوبهم، خوفاً أن ينخرق علي منهم ما لا طاقة لي به».[1]

لم يكن الخليفة الرّاشد عمر بن عبد العزيز يجد القبول بل على العكس وجد النفرة وربما الكراهية، وعدت ولايته ثقيلة على الكثيرين من المحيطين به، حرصاً منهم على الظفر بمتاع الدنيا، وازداد الأمر والجفوة بينه وبين المحيطين به خاصّة، إلى الحد الذي دفع الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يدعو الله تعالى للمسارعة في دنو أجله، بعد أن مات خيرة أعوانه وهم أخوه سهل وعبد الملك ابنه ومزاحم مولاه[2]، قال بن أبي الحكم:

«ولما كان قبل وفاة عمر بن عبد العزيز توفي أخوه سهل، وولده عبد الملك، ومولاه مزاحم وكانوا أعوانه على هذا الأمر خرج فخطب النّاس فأمرهم بشيء يصلحهم، فكأنهم تثاقلوا عنه، واغتم لذلك، ثم أنصرف ودخل، وذلك يوم الجمعة، وكان يدخل عليه بنوه فيستقرئهم القرآن بعد الجمعة، فدخلوا عليه كما كانوا يدخلون ، فاستقرأهمّ فقرأ أولهم: ﴿**طسم* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ* إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾، فقال: قد عزاني الله على لسان ابني هذا، وتجلى عنه بعض غمّه وقال: اللّهمّ إني قد مللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما عاد المنبر ثانية حَتَّى قبضه الله عز وجل «[3].

---

(1) ابن عبد الحكم، أبي محمد عبد الله، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، س. ذ. ، ص 60.
(2) المرجع السابق، ص 114.
(3)المرجع السابق، ص 112-113.

ذلك أنّ الأحداث المتلاحقة عبر هذه الحياة الدنيا، تعكس حقيقة أنّ بناء المجتمع والدّولة الفاضلة يبدو أمراً بعيد المنال ويتعذّر تحقيقه. خلافاً لما يذهب إليه ويظنه العقل الإسلامي المعاصر.

# الخاتمة

ويمكننا أن نخلص إلى القول أنّ الكتاب قد ركز في القسم الأول على بيان مفهوم الإرهاب وعلاقته بالعديد من الظواهر النفسية والدينية والاجتماعية كالتطرف والغلو والعنف، وبعد التعرض للصعوبات الجمة في تعريف الإرهاب ، قدمنا تعريفاً للإرهاب وفق منهج علمي تحليلي، من خلال تحديد الخصائص الأساسية الجامعة للعمل الإرهابي، والتي تشكل أركان الفعل الإرهابي، والبعد على أملاءات الموقف السياسي أو التبريري، حيث احتوى الفصل الأول من القسم الأول، تحديداً لمفهوم الإرهاب على أساس علمي ومنطقي ليتجاوز الجدل اللامنقطع حول مفهوم الإرهاب مشيراً إلى أنّ مرد ذلك الجدل هو اختلاف الرؤى السياسية والمنطلقات الفكرية، مؤكدين على صحة الفرضية القائلة بأنه لا يمكن الربط بين الفعل الإرهابي وهوية الفاعل ولذلك حدد أركان الفعل الإرهابي وجعلها المعيار في تحديد الفعل الإرهابي أيا كانت هوية الفاعل، ووضع تعريف تحليلي شكل نوع من أنواع التشخيص الضروري والهام للمساعدة في بيان بواعث العمل الإرهابي، كما هو الأمر في التعرض لبعض المفاهيم والظواهر المتعلقة بالإرهاب التي تناولها القسم الأول، وذلك كله خطوة أساسية في سبيل معالجة ظاهرة الإرهاب، والتي تطرح في القسم الثاني من الكتاب كمقاربة ومعالجة وفق رؤية وتصور أسس على خلفيات دينية إسلامية، وهذا أمر في غاية الأهمية خاصة بالنظر للتوظيف الكبير للدين والنص والخطاب الديني في ظهور

وانتشار ظاهرة الإرهاب بين الأديان، فظاهرة الإرهاب لم تعد قصراً على دين الإسلام وحده بل تسرى على باقي الأديان، خاصة السماوية منها، وهو ما تم بيانه أنفًا، وإضافة إلى ذلك يركز القسم الثاني من الكتاب على أهمية العودة لدراسة الأبعاد الثقافية والدينية لظاهرة الإرهاب من خلال الكشف عن تلك الأبعاد وتأثيرها على مرتكبي أو مؤيدي الفعل الإرهابي، وعمل على إبراز وبيان حجم القطيعة الحقيقية بين الإسلام كدين سماوي والإرهاب بكلّ أشكاله، من خلال توضيح الخلل في فهم الدين الإلهي والخطأ في تأويله الذي قاد بعضهم ليس فقط لتبرير العمل الإرهابي، بل لاقترافه أيضاً باسم الدين. فهو بذلك يعزّز صحة الفرضية القائلة بأن لا علاقة بين الإسلام كدين سماوي والإرهاب، رغم ما قد يبدو للبعض من ارتباط في الظاهر، ويطرح القسم الثاني في فصله الثاني، جملة من المنطلقات والقيم إلي تحتاج توطين في بيئة الفكر والعقل العربي والإسلامي، تشكل بديلاً عن المنطلقات الشائعة والحاكمة في العقل الإسلامي العربي، والتي شكلت أرضية مناسبة لظهور وانتشار ظاهرة الإرهاب، ومدتها بالتبريرات اللازمة لاستباحة الأنفس والأموال والأعراض، لتصبح ما يوصف بحق عمل إجرامي واعتداء، عملاً مبرراً ومشروعاً، بل وربما العمل المأمور به، والمأجور عليه.

وتخلص الدراسة في قسميها بصورة إجمالية لجملة من الاستنتاجات الهامة، وهي على النحو التالي:

**الاستنتاج الأول**: إنّ الصعوبات القائمة في تحديد مفهوم الإرهاب مردّها إلى عدم الاتفاق السياسي بالدرجة الأولى قبل أن تكون معضلة وإشكالية بحثية علمية مجردة، يمكن الأتفاق على أرضية مشتركة لها،

فالمجال البحثي المجرد هو السبيل الوحيد للوصول إلى تحديد لمفهوم الإرهاب، بعيدا عن الرؤى السياسية والفكرية المؤطرة .

**الاستنتاج الثاني**: يلتبس على الكثير تحديد مفهوم الإرهاب بسبب ربط الفعل الإرهابي بالفاعل، إذ لا يمكن تبرير الفعل الإرهابي بالغايات السامية وهوية الفاعل، ما دامت قد توفرت أركان الفعل الإرهابي، فمن المجانب للصواب اعتماد صدق النوايا أو سمو الأهداف مبررًا للمساس بالأبرياء، أو القبول بمثل هذا العمل كعمل مبرر ومشروع حيث لا يمكن تبرير الخطيئة واقترافها مع وجود الخيار.

**الاستنتاج الثالث**: التركيز على الأبعاد الدينية والفكرية، من أهم سبل معالجة الظاهرة الإرهابية، وغياب هذا العامل يفسر جزءًا من القصور الحاصل فى فهم ومعالجة ظاهرة الإرهاب.

**الاستنتاج الرابع**: الحاجة لمسلك متوازن في معالجة الإرهاب وتقديم فكر ونظرية وأيديولوجيا بديلة للعقل الإسلامي المعاصر، تشكل انقلاباً في طريق التفكير فمن العنف إلى السلام، ومن السلبية والاحتجاج إلى الايجابية والعطاء.

**الاستنتاج الخامس**: هناك حاجة ملحة لوضع إستراتيجية متكاملة، لمعالجة الظاهرة الإرهابية، والتي تطلب معالجة فكرية بالمقام الأول، تأخذ في الاعتبار، إعادة قراءة النص الديني، قراءة موضوعية، متحررة مما علق به من تأويلات وتفسيرات تاريخية وقتية، بالرجوع للمصدر الأصلي (الكتاب والسنة) الضابط لكل انحراف وزيغ، كما نص الحديث النبوي الشريف، والتخفف من كل ما علق بذلك النص من اجتهادات منها الخطأ منها، والصائب المقيد بظروف الزمان والمكان.

**الاستنتاج السادس**: إنّ السبيل الأقل كلفة والأسلم، هو التركيز على المعالجة الفكرية النظرية، وأداتها الأساسية هي نشر التعليم ومحاربة الجهل، وإدراك منتهى ونتائج الخيارات المطروحة، لتجنب مخاطر وتبعات، الخوض في تجارب عملية، قد تقودنا إلى نتائج غير مرجوة ومتوقعة، نتيجة التخطيط والتفكير غير السليم، ولا تبقى لنا إلا الأسى والندم حين لا ينفع الندم.

**الاستنتاج السابع**: الكثير من الدوافع للعمل الإرهابي باسم الدين، نبعت من رغبة ونية في الصلاح والإصلاح، ظناً من أصحابها أنهم يحسنون صنعاً، ولهذا يجب اعتبار المنخرطين في الأعمال الإرهابية، أنهم موضع للشفقة والنصيحة، وليس محل للانتقام والتشفي، وهذا مما يسهل عملية المعالجة لظاهرة الإرهاب، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم واجهوا، الكثير من الجماعات التي امتهنت أمال العنف والإرهاب، فكانوا حريصين على عدم الدخول معهم في مواجهة مسلحة، إلا تحت داعي الضرورة، بل أنهم غلب عليهم، استمالتهم للغة الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، كما فعل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في حرصه على مواجهتهم إلا إذا كانوا هم البادئين، ولم يمنعهم مساجد المسلمين، أمّا الإمام ابن عباس رضي الله عنه، فإنّه ذهب إليهم ليحاورهم، ويشهد نجاح هذا الأسلوب في التعامل مناظرته المشهورة مع الحرورية، والتي كانت سبب في رجوع قسم كبير منهم.

**الاستنتاج الثامن**: إنّ ميدان العمل الديني ومنهجه، يقوم على الحكمة والصبر، ومراعاة أحوال وظروف المخاطبين، والتقيد بالسنن الكونية والفطرية الطبيعية، كالتدرج والتحلي بالصبر، والعمل على تهيئة بيئة

سلام طبيعية، تسمح للاستماع إلى لغة العقل والمنطق، وتخفف من غلواء التعصب والحمية. وهذا الأسلوب هو عين الأسلوب القرآني الذي عمل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام على هديه والتزموا به، وحق على كل مسلم أتباع هديهم.

**الاستنتاج التاسع**: أن اللجوء إلى العنف والقوة كخيار للإصلاح والتغيير، أسلوب يحمل مخاطر كثيرة، وأنّه خيار منهي عنه نصاً، والقراءة العاقلة للتاريخ والواقع الإسلامي يفتقر لتجربة ناجحة تبنت هذا الخيار يمكن الاسترشاد بها، بل على العكس، فإنّ خيار السلم لا المواجهة (العنف)، الذي انحاز إليه الكثير من المصلحين وفضلوه كان سبباً في تحقيق الكثير من النجاحات.

## التوصيات

وفي الختام نوصي بضرورة تسليط مزيداً من الاهتمام على دراسة ظاهرة الإرهاب وتفكيك مكوناتها النظرية الفكرية، وضرورة توظيف كافة الوسائل المؤثرة في وعي وثقافة الناس، لتعرية ظاهرة الإرهاب وبيان أخطارها التي لم يسلم منها أحد، لاتساع دائرة ضحايا الإرهاب، والتي قد تضم مرتكبي الفعل الإرهابي نفسه، لأنهم ضحايا لفكر إرهابي عملوا على ضوئه ظناً منهم بصوابه وصحته، يتوجب على القيادات الفكرية والدينية على وجه الخصوص، الرد على كل الأفكار والمزاعم الداعمة للعمل الإرهابي، واخص بالذكر القيادات الدينية كالعلماء والمشايخ والوعاظ والخطباء، لما لهم من حضور وسلطة على ضمير المسلمين بجميع شرائحهم وطبقاتهم، خاصة أن الظاهرة الإرهابية ذات المنزع الديني سوقت أعمالها باسم الدين، الأمر الذي يصعب وربما يتعذر معه

الفكاك من طوق الهيمنة الذي ضربته على عقل ووعي المسلمين، إلا بقيام القيادات الدينية بكسر ذلك القيد المعنوي. ولعل من أهم التوصيات هي العمل على تنقية المناهج والمقررات التراثية والمعاصرة، مما يخالف روح الإسلام والقيم التي يدعو لها كالتسامح والرحمة والأخوة الإنسانية. وهذا يتطلب تغليب خطاب ديني قائم على مقاصد وأصول الشريعة الإسلامية السمحة، والبعد كل البعد عن التمسك بأقوال وآراء بشرية أفرغت في النصوص وامتلأت بها الصحائف الدينية، حتى صارت تلك الآراء لدى البعض تكتسي طابع القداسة، لمجرد صدورها عن شيخ أو عالم ما، مع أنها اجتهادات بشرية، حتى صار بيننا اليوم، من يقيم عمله وتخطيطه لا على رؤية قرآنية واضحة بل على قول أو رأي أو فتوى معينة، بل أنّ البعض من الشباب المسلم اليوم مستعد للقيام بأي عمل حتى لو كان من اكبر الكبائر كقتل النفس، بمجرد حصوله على فتوى من عالم معتبر في نظره هو وربما وحده أحياناً.

# قائمة المراجع

## أولاً / المراجع العربية

**أ- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

**ب- الكتب**


- ابن الجوزي، جمال الدين بن محمد، **التبصرة لابن الجوزي**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1406 هـ-1986 م.
- ابن خلدون، **المقدمة**، بيروت، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 2000، طبعة أخيرة.
- ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1968م.
- ابن سورة، أبي عيسى (الترمذي)، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق وشرح وتعليق: أحمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي وأولاده، ط2، 1398هـ-1978م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مجموعة من المحققين، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، 1387ه.
- ابن عبد الحكم، عبد الله، **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، بيروت، عالم الكتب، ط6، 1984م.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، دار عالم الكتب، بيروت، بلا طبعة، 2003م، 1424هـ.
- ــــــــــــــــ، **تفسير القرآن العظيم** (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض، دار طيبة، ط2، 1420هـ - 1999م.
- ابن هشام، عبد الملك، **سيرة ابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة2، 1375هـ - 1955 م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423هـ-2002م.
- بدوي، عبد الرحمن، **الموسوعة الفلسفة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984م.
- البنا، حسن، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، أكرا-غانا، أفريقيا للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ-2007م.
- البيهقي، أبي بكر احمد بن الحسين، **دلائل النبوءة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1988م.
- التبريزي، محمد بن عبد الله، **الإكمال في أسماء الرجال**، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولي، 2005م.
- جريس، هالسل، **النبوءة والسياسة**، القاهرة، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، 2003م، ط2.

- جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط1، 1400هـ.
- الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي، **غياث الأمم في التيات الظلم**، القاهرة، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، 1970م.
- خان، وحيد الدين، **الجهاد الحق: مفاهيم السلام والتسامح واللاعنف في الإسلام**، ترجمة: بسام أبو زيد، السعودية، العبيكان، ط1، 2013م.
- ــــــــــــ، **المنهج الرباني في الدعوة إلى الله**، تونس، مكتبة الجديد، ط1، 1988م.
- الزحيلي، وهبة، **التفسير الوسيط، دمشق**، دار الفكر، ط1، 2000م.
- ــــــــــــ، **العلاقات الدولية في الإسلام: مقارنة بالقانون الدولي الحديث**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1981م.
- زيادة، معن، **الموسوعة الفلسفية العربية**، بيروت، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، المصطلحات والمفاهيم، ط1، 1986م.
- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الريان للتراث، بلا طبعة، 1407هـ-1986م.
- العلواني، طه جابر، **المقدمة العامة لمشروع العلاقات الدولية في الإسلام**، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997م.

- على بن محمد الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، بيروت، مكتبة لبنان، بلا طبعة، 1969م.
- القائد، محمد سليمان، **منهج الهداية**، القاهرة، الرسالة للإعلام الدولي، ط1، 1990م.
- قطب، سيد، **السلام العالمي والإسلام**، بيروت، دار الشروق، بلا طبعة، 1983م.
- ـــــــــــ، بيروت، دار الشروق، بلا طبعة، 1979م.
- القرضاوي، يوسف، **ابن القرية والكتاب**، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولي، 2008م.
- كامل، مجدي، **المسيحية الصهيونية التطرف الإسلامي والسيناريو الكارثي!!**، دمشق- القاهرة، دار الكتاب العربي، ط1، 2007م.
- الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1993م.
- كيجين، روبرت ، **عودة التاريخ ونهاية الأحلام**، طرابلس، الدار الأكاديمية، ط1، 2009م.
- الماوردي، أبو الحسن على، **الأحكام السلطانية**، تحقيق: أحمد جاد، القاهرة، دار الحديث،الطبعة الأولي، 1427هـ-2006م.
- مجموعة باحثين، **إسلام بلا دماء: تيار اللاعنف الإسلامي**، الأمارات العربية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط2، 2011م.
- محمصاني، صبحي، **القانون والعلاقات الدولية في الإسلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1982م.

- محمود، مصطفي، **قراءة للمستقبل**، القاهرة، دار أخبار اليوم، ط2، 1997م.
- المسيري، عبد الوهاب، **الأيديولوجية الصهيونية: دراسة في علم اجتماع المعرفة** (القسم الأول)، الكويت، سلسلة شهرية عالم المعرفة، ديسمبر 1982م.
- الموصلي، أحمد، **الأصولية الإسلامية والنظام العالمي**، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1992م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، الرياض، دار طيبة، ط1، 1426هـ.

**ج- المقالات**

- محمد خليل، «**علماء أزهريون: مصطلحا دار الحرب ودار السلم، فقدا صلاحيتهما في ظل التنظيم الدولي المعاصر**»، الشرق الأوسط، الخميس 20 يوليو 2006، العدد:10096.

**د- الرسائل الجامعية**

- إبراهيم ، عدنان، **رسالة دكتوراه بعنوان: حرية الاعتقاد في الإسلام ومعترضاتها القتال، الذمة والجزية، وقتل المرتد**، جامعة فيينا، 2014، أشراف البروفيسور روديغر لولكر.

**هـ- المراجع الالكترونية**

- بوب، روبرت، **إعادة تعريف الإرهاب**، مقابلة إذاعية، محطة:«فان كوفر ميديا كوربوريشن»، تسجيل صوتي للمقابلة، في 21 أغسطس 2011م، على الرابط: (www.archive.org).

- بوش (الأبن)، جورج، **الله والرئيس بوش**، بتاريخ 7 أكتوبر، 2005م، على الرابط التالي: (/www.commondreams.org /headlines05 /1007-03.htm).

- زكريا، فؤاد، **عالم ما بعد أمريكا**، مقابلة إذاعية، برنامج: Great Speech، على الرابط التالي: (www.archive.org) .

- الشنقيطي، محمد بن مختار، **المسيحية الصهيونية والسياسة الأمريكية**، موقع الجزيرة منتدى المعرفة، على الرابط التالي: .www.Aljazeera) net /analysis / analysis /pages /17dbd25a-9410-4ebd-a63f-91873f3668a).

- المارياتاي، سالم، **استجابة الولايات المتحدة الأمريكية للإرهاب (مقاربة غير متوازنة)**،على الرابط: (www.archive.org) .

## ثانياً / المراجع الأجنبية

### أ- الكتب

- ABOOTALEBI, Ali Reza, **Islam and Democracy: State-Society Relations in Developing Countries**, 1980-1994, New York, Garland, First Edition, 2000.
- BOOTH, Ken and DUNNA, Tim, **Worlds in Collision: Terror and the Future of Global Order**, Palgrave Macmillan, New York, First Edition, 2002.
- EDEL, Abraham, **Notes on Terrorism**, in: **Values in Conflict: Life, Liberty And The Rule Of Law**, LEISER, Burton M., New York, Macmillan Publishing Co. Ltd, First Edition, 1981.

- HOFFMAN, Bruce, **La Mécanique terroriste**, France, Nouveaux Horizons, Première Edition, 2002.
- Khan, Wahiduddin, Islamic Fundamentalism, India, Goodword, First Edition, 2015.
- KHAN, Wahiduddin, **The age of Peace: Peace is the only culture for both man and universe**, India, Goodword, frist Edition, 2015.
- KHAN, Wahiduddin, **The Creation Plan of God**, Goodword, New Delhi, First Edition, 2013.
- KHAN, Wahiduddin, **The True Jihad: The Concepts of Peace, Tolerance and Non-Violence in Islam**, India, Goodword, Second Edition, 2012.
- KUHNERT, Barbara & WARNDORF, Susanne, **The West and the Muslim world : A Muslim Position**, Berlin, ifa, 2004.
- LAQUEUR, Walter, **The Origins of Fascism: Islamic fascism, Islamophobia**, anti-Semitism, Oxford University Press, 2006.
- LYSTAD, Ropert A., **Encyclopedia Americana**, New York, 1979.
- NAGATA, Judith, **How to be Islamic With being an Islamic State**, pp.64-65 , in: AHMED, Akbar and DONNAN, Hastings, Islam, Globalization and Postmodernity, London, Routledoge, First Edition, 1994.
- NEUMAYER, Eric & PLUMPER Thomas, **International terrorism and the clash of civilizations**, London, LSE, October 2010.
- O'GOLO, Tom, **Christ? No! Jesus? Yes!: A radical reappraisal of a very important life**, Zimbo Press, 2011.

- Paul Wilkinson, **Terrorism Versus Democracy**, London, Routledge, Second Edition, 2006.
- Robert Pape, **Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism**, New York, Random House, First Edition, 2005.
- **The Encyclopedia of Philosophy**, New York, Macmillan, 1972.
- **The Inevitability of the Clash of Civilisation**, London, Al-Khilafah Publications, May 2002.
- TIBI, Bassam, **Islam between Culture and Politics**, New York, Palgrave, First Edition, 2001.
- VAGLIERI, Laura Veccia, **An Interpretation of Islam**, New Delhi, Goodward, first Edition, 2004.
- ZAKARIA, Fareed, **The Future of Freedom: Illiberal Democracy at home and Abroad**, New York, Norton, First Edition, 2007.

## ب- المقالات

- **ALLEN, Lisa M., The Philosophy of Sayyid Qutb Will Persist as Al Qaeda's Intellectual Heritager, Counter Terrorist Trends and Analyses, Vol.3, No.6, June 2011, (pp. 79-).**
- **BARBER, Benjamin R., Democracy and Terror in the Era of Jihad vs. Mc World, (pp.241250-), in: World of Collision: Terror and Future of Global Order, BOOTH, Ken and DUNNE Tim, UK, Palgrave,** First Edition, **2002.**
- **DARDIS, Tony, Primoratz on Terrorism, Journal of Applied Philosophy, Vol.9, No.1, 1992, (pp. 9397-).**

- **JAMEELAH, Maryam, Modern Ideas and Concepts in the Works of Maulana Sayyid Abul A'la Mawduidi, Islamic Studies, Vol.42, No.2, Summer 2003, (pp. 347352-)**
- **KHAN, Wahiduddin, Terrorism In The Light Of Islamic Teaching, spirit of Islam, No.9, September 2013, (pp. 47-).**
- NEUMAYER, Eric and PLUMPER, Thomas, **International terrorism and the clash of civilizations**, London, Cambridge University press, 2009, British journal of science, Vol.39, No.4. (pp.711734-).

## ج- المراجع الالكترونية

- ABUSOUK, Ahmed Ibrahim, **Globalization and Muslim Identity Challenges and prospects**, July 2006, available at: (www.identites.org.pk/readings/Globalistion_Muslim_ID.pdf)
- DUNN, Michael, **The Clash of Civilization and the War on Terror**, in: 49th Parallel, Vol.20, Winter 20062007-, Available at: (www.asaha.com/dowenload/zNTg0MDc5).
- (http://cpsglobal.org/mwk).
- (https://www.facebook.com/maulanawkhan/)
- "Great Speeches and Interviews, **Explore the dark side of United State,** at: (www.archive.org).
- COADY, Tony, Terrorism, **Encyclopedia Of Ethics, Routledge**, New York and London, Second Edition, Vol.3, at: (www.plato.standford.edu/entries/terrorism/).
- Report SSTRL, **Causal Factors of Radicalisation**, 1 April 2008, Workpackage 4, Available at :

  (www.transnationalterrorism.eu/tekst/publications/Causal%20factors.pdf).

- **The Reign of Terror**, (www.historwiz.com/terror.htm).
- TTSRL Report, **Isolating Terrorism**, 13 August 2007, Work package 3, Available at:

  (www.transnationalterrorism.eu/tekst/publications/Isolating%20Terrorism.pdf).
- TTSRL Report, **Notions of Security**, 14 February 2007, Deliverable 1, Work package 2, Available at:

  (www.iripaz.org/list_vert/08/Notions%20security%20Transnational%20Terrorism.pdf).

| | |
|---|---|
| كتاب منهج الهداية<br>محمد سليمان القائد | |
| التفسير السياسي للدين | |
| المنهج الرباني في الدعوة إلى الله | |